السريانية — العربية
الجذور والامتداد
السريانية - العربية
الذخور والامتداد
السريانية - العربية
الجذور والامتياز
تاليف: سمير عبد
الطبعة الثانية 2003
عدد النسخ 2000 نسخة
جميع الحقوق محفوظة لدار علاء الدين
التدقيق اللغوي: صالح جاد الله شقير
صورة الغلاف: كتابة عربية بخط نبطي على قبر
امرأة القيس بن عمرو سنة 328 م
يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار حلية الاربع
للنشر والتوزيع والترجمة
سوريا، دمشق، ص.ب: 30598
هاتف: 011702170456، فاكس: 13427055
مقامة

يت удален شعور الإنسان، كما تقدم بالعمر، بعدي تقسيمها في دراسة الماضي، وخاصة إذا كان الماضي مضاهه، والأرض التي يفترشها هي أرضه.

هكذا كان الحال معى حين كتبت كتابي الأول (السوريان: قديماً وحديثاً)، الصادر عام 1997 فهو كتاب مكتف المادة وتعريفي المبتنى لن بقى من سكان سوريا الأولين، وكان الكتاب الثاني (السوريون والحضارة السريلانية) عام 1998 وهو الكتاب الذي يعطي هوية المواطن السوري القديم وعمراره إلى الآن، أما كتابي الحاقي (السريانية — العربية: الجذور والامتداد)، فهو يتناول تاريخنا الماضي وربطه بالحاضر، والدلالات التي تعطي لتنسية سورية وعلاقة ذلك بالسريع، ومساحة هذه البلاد التي تفوق وضعها الحاقي إلى الضعف، ومدى تأثرها وتأثير اللغة العربية باللغة السريلانية المانعة في معظم مقربات ع оргنة المندوة يومياً، دون أن نلاحظ أصلها في الغالب، لنكرة ما كتب في ذلك (1). كذلك في أسماه القرى والمند الكثيرة التي تعود في أصولها إلى السريانية، وكذلك في المقارنات التي تجمع بين الكلمات السريلانية مع العربية وغيرها من اللغات التي تعود في أصولها إلى اللغة الأم (السامية).

(1) للتذكير على جهل وتجاهل ما يقال، يروى أسامة أنور عاشة، كاتب السيناريو المصري المعروف، في مقال له عن (شبكات البناء الداخلي) وبه يتناول نجاح كتاب السيناريو الأصلي عمله إلى غيره مسألة أجريزية، يندد بموجه من مسحه تأليف كتاب السيناريو (ولو كانت معرفة بوجود كتابة الدراما لا تزيد عن معرفة بقواعد اللغة السريانية)، مجلة روز اليوسف - القاهرة 20/1 1997 ص 1271. أعلنا أن العرب تعلموا الكتابة من السريان وبنوا على قواعدها قواعد الإملاء، ونذكر هنا على سبيل المثال ما جاء في العقد الآتي (20): 25 ين أن عبد ربه (إلى ثلاثة من طيء، اجتمعوا ببقاء وهم مدارب بين مرة، وأسلم بن سعدة، وعمر بن جبر، فوقعوا الخط، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية. فتعلموا قوام من الأثر، واجاء الإسلام وليس أحد كتب بالعربي غير لغة عشر إنسانًا)، وقال مثله السرياني في المهر (39) كذلك صاحب الفهرست (ص. 40) نقلت عن ابن عباس، وروى البلتاجي في فتح البلدان (ص. 471) كلامًا مطولاً على هذا الموضوع.
وفي هذا الكتاب نكتشف أكثر فأكثر السريانية العربية ومدى مساهمتها في بلورتنا شخصيتها السورية العربية، ومدى تفاعل الثقافة السرية مع شقيقتها العربية،DSL الأواصر التي جمعت وشدت العرب إلى السريان والسريانية، مما كتب عنه المجلدات، وقلاع عرف التاريخ مثل هذا التلامع والتآزر الذي جمعهما معاً، حتى أن بعض المؤرخين يظنون أن السريان هم العرب والعرب هم السريان، كما قد يحصل للبعض إذا زار قرى ثلثًا قريلاً من دمشق يتكلمون سكانها السريانية، مع أنهم مسلمون في غالبيتهم.

وعندما بدأت أبحاث التاريخ حول السريان، أدركت أن الإلهام بالتاريخ العام لأبد من أن يغير نظرة الإنسان إلى التاريخ السوري، وربما كان من المحتمل أن يغير تلك النظرة إلى الفروع المنفصلة الأخرى التي تفرعت إليها دراسة السريان، بتاريخ المنطقية، كما يعرضه البعض، ليس فحسب تفسيرا ناصحاً للحضارة السورية، بل هو لا يعد تفسيرا جزئياً مرضياً، فالموضوع في حاجة إلى دراسة جديدة على ضوء تجارب البشرية كلها.

إن ما أسى على البشر عظمتهم الخاصة هو بحثهم عن حقيقة أنفسهم وعن علاقتهم بالكون، ويضاف إليه ما قاموا به من محاولات لإبراز صور الحقيقة في أشكال تسر عقل الناظر إليها وحواسه، وبنظر من أن محاولات الاقتراب من الحقيقة تبدو بلا هدف إذا نظرنا إليها من زاوية (الخبيز والزبد اليوميين)، فقد كان لها مع مرور الزمن، تأثير هائل في الطرق التي وفرت الحاجات اليومية للناس، وكان للتغيرات التي أصابت هذه الطرق على يد العلم والإيمان والعبادة ومنجزات الفن دور مهم في تعزيز مصير التاريخ، وأن أكتب هذه الصفحات أمال في أن تساعد على جعل تاريخ سورية مفهوماً من حيث هو محاولة لخدمة إنسان هذه المنطقة، على الرغم من أن المحاولة حالية بالنكسة وغيابات الأول من مواضيع كثيرة.

ودراسة الماضي لا تنفعنا في شيء سوى التعرف على الواقع الراهن الذي هو ظلام بين ومضتين من ومضات منارة تبعث بنورها لبداية السفن. إنه لحظة بين دقتي من دقائق الساعة، إنه فترة من الفراق تنحس دائماً لتمالى مكانها في تيار الزمن... إنه الصداع بين الماضي والمستقبل... إنه تغيرة عند قطبي المجال المغناطيسي الدوار، متناهية في الصغر، ولكنها في النهاية حقيقة... إنه لحظة التوقف بين أجزاء الزمن المتصل التي لا يحدث فيها شيء.
أما لحظة الواقع فهي كلما يمكن أن نعرفه مباشرة، وأما سائر أجزاء الزمن فلا تظهر إلا على شكل إشارات بحملها أناس على حين غرة وينقلونها إلينا في هذه اللحظة في مراحل عديدة لا حصر لها. وتشبه هذه الإشارات الطاقة الحركية التي تخزن حتى لحظة إشاع معينة تتحدى عندها الكتلة في جزء من خط سيرها إلى مركز النظام الإنجذابي.

والسؤال هو: لماذا لا تكون هذه الإشارات القديمة واقعية؟ إن طبيعة إشارة ما هي أن رسالتها لا ترتبط بالزمن والمكان الحاليين وإنما بزمن ومكان ماضيين، وبما أنها إشارة فهي إذن فعل ماض لا يدخل في نطاق (الأآن) المرتبط بالوجود الحالي، أما إدراك الإشارة يفيد في زمن (الأآن)، ولكن الدافع إليها ونقلها حدث في زمن (أنتَذ)، وعلى أي حال، فإن اللحظة الحالية هي السطح المستوي الذي تقام عليه أعمدة الإشارات لجميع أشكال الوجود، وما من مستوى زمني آخر يجمعنا عامة لنلتقي في ذات اللحظة المصريّة.

...  

سورية(٤) مهد حضارات قديمة، مسرح حوادث تاريخية أدخلت فيها كثيرا من العناصر البعيدة والقريبة مختلفة فيها كل تلك المؤثرات، رواسب هي - غير هذا وذاك - قاعدة في عالمتنا التي نتناولها الآن والتي منها الكثير من الفصيح العربي وطريقة التعبير العربية، أو التقاء السريانية بالعربية حيث يظهر في آل الألفاظ المشابهة معنى ولفظا كقولنا Foumo، و Abo Bayto. Aayno Ktab من غير ذلك.

كم أن في العربية الكثير من الأعجمي الخاص الذي يسهل رده إلى أصله في لغة جليّة، وإنما ما أريد أن أشير إليه هو لا بالأعجمي ولا بالفصيح، بل هو بين هذا وذاك، له شبه في الفصيح ولكنه محرف عنه، أو مختصر في حروف عنه، كما يبدو لأول وقفة، هذا الذي نراه مسخا عاميا وليس هو بمسخ وإنما هو أصل فصيح في لغة سابقة أخرى هي السريانية، التي صمدت في سورية حتى غزوات التتار في القرن الرابع عشر.

(٤) ترجع ورود أحرف كلمة (سورية) في هذا الكتاب بين النواة المربوطة في الأخير والآلف، حيث إنه إلى بداية السنين من القرن العشرين كانت توضع الألف في الأخير (سورية) - وهي الأصح - بدل النواة المربوطة، ومنذ ذلك الوقت ازداد استعمال النواة المربوطة على الصعيد الرسمي، كما أن سورية كتعريف بهذا الاسم والمساحة تجدها في فصل لاحق.
وظلت محكية في لبنان حتى أوائل القرن الثامن عشر، ولا زال البعض ينكمش في سوريا، مما جعل من أعظم مؤرخي العرب د. فيليب حتى يقول: ((إن الفوز الذي حققه السريانية وهي لغة لا تدعمها سلطة إمبراطورية من أهلها ليس مثيل في التاريخ)).(1) وهـذا ما يجعل من دراسة مسألة كهذه تصل إلى (أن التغيير الحضاري هو، في آخر تحليل، تغيير إنساني في وسيلة وفي غايتها))

والخاتمة التي وضعت لمنهجية هذا الكتاب هي المعرفة أو فهم الطرائق، وتمثل هذا الفهم يقتضي في البحث التاريخي شيئا أكثر بكثير من مجرد ترتيب الحوادث على النحو الذي وقعت فيه زمنيا، فتدوين الحوادث على ذلك النحو يساعنا بالأخبار لكنه لا يحمل معه فهما للاقاتها، فإذا أردنا فهمها، ينبغي علينا أن نكتشف وجوه ارتباطها بعضها ببعض علامة، على ارتباطها من حيث التتابع أو الاتفاق الزمنيين، وينبغي علينا، بصورة خاصة، أن نكتشف عن الصلة بين الأحداث من حيث أن بعضها عل وبعضها معلوـلات، ويستطيع الإنسان أن يفرض درجة أعلى من الاحتياط أو الوثوق ليس عندما يكون للأقوال سند تجريبي فحسب، بل وعندما تتفق مع نظرية معتمدة في التاريخ، والعلم الاجتماعي، أو كما يقول والش(2)، فإن البنية النهائية للحقيقة في التاريخ، وفي المعرفة الحقيقية كلها، هي التنازل الداخلي بين المعتقدات التي نبنيها على ذلك الأساس(4)، وهذا الأمر مضمر في منطق الأسلوب العلمي، الذي أضمن تأسيحا من عملية التحليل المتراكم في مختلف الميادين، كما أنه يمثل النظريات الحالية في المعرفة، فالتناسق الأساسي للحقائق والنظريات المقترحة هو أفضل عمل للمعرفة العلمية الموضوعية في أي ميدان، وبهذا نكون قد عرضنا نظرية في المعرفة التاريخية، ولكنها لا تضع في متناولنا حلا سهلًا لمشكلة (وزن الشواهد) في الشهادات المشتركة، والواقع المختلفة، والمؤثرات في الشخصية، أو التغيرات في السجلات القديمة.

---

(1) د. فيليب حتى: تاريخ سوريا وفقطت ترجمة د. جورج حداد، و د. عبد الكريم رافق، الجزء الأول دار الثقافة بيروت 1988 ص 182.
(3) W. H. Walsh: An introduction to philosophy of history. Hutchinson’s University Library - London 1951 P 93.
وعلى هذا سرنا في بحثنا متجنمين الخلط في الوقائع المسنودة إلى مراجعها الأصلية، محاولين أن نربط بالحاضر المشاهد والملموس، حتى نستشف الماضي من خلال الواقع العيني وتكتمل الصورة لدى القارئ.

ونجد في الزمن التاريخي أن ما يتأثر باهتمامنا هو ذلك النسيج من الوقائع الذي يرتبط بين أشكال الوجود المختلفة عبر الفترات الفاصلة كلها، ذلك أن الزمن، كالمثل، لا يمكن معرفة ذاته أو جوهره، فنحن لا نعرف الزمن إلا بصورة غير مباشرة عن طريق ما يحدث فيه: أي بملاحظة التغير والدوام، وإدراك تتابع الحوادث في الأوضاع المتسقة، والانتباه إلى التشابه في سرعات التغير المختلفة، ولا تزودنا الوثائق الكتابية إلا بسجلات إخبارية ناقصة وحديثة العهد نسبية عن بعض أجزاء العالم، ولذا فإن معلوماتنا عن العصور الغابرة تعتمد بالدرجة الأولى على بينات بصرية ذات أهد مادي وبيولوجي.

والمؤرخ يسعى في اكتشاف الأشكال المتعددة المتاحة للزمن، أما هده فهو أن يصور الزمن، وذلك بغض النظر عن ميدان تخصصه العلمي، فهو مدعو إلى اكتشاف شكل الزمن ووصفه، وهو ملزم ببناء هذا الواجب، وهو يحاول أن ينقل صورة صادقة عن الوضع، فتراه ينشئه، ويكيف ويبني ويلعو الصورة التي يرغب في تقديمها، مثله في ذلك مثل الرسام الذي يسعى إلى نقل صورة صادقة عن هوية موضوعه الحقيقية، ويجب عليه لتحقيق هده أن يكتشف مجموعة نموذجية من الخواص التي تسهل عملية التعرف على الموضوع وتنقل في الوقت نفسه إدراكا حسيا جديدا له.

ويختلف المؤرخ عن عالم الآثار وعن الذين يدعمون حب الاستطلاع إلى البحث، كما يختلف الملحن لموسيقته جدًا عن العازف في جوقة موسيقية، فالمؤرخ يستخرج معان جدوى من التراث الثقافي الذي تتاهى إليه، بينما ينحسر عمل عالم الآثار في إعادة إنتاج جزء خفي من الماضي أو إعادة بنائه وتقديمه بأشكال مألوفة لدينا، وما لم يكن المؤرخ مجرد مدون أو مؤرخ إخباري، فإنه ينقل إليه نمطا لم يلاحظه أولئك الذين عاشوا وفق ذلك النمط، ولم يتعرف عليه معاصره المؤرخ إلا بعد أن يزيح الستار عنه.

والتجربة، إن صح التقول، ظل الإنسان لا ينفصل عنها، ويستهار الإيقاعات المتعددة، الخاصة والجماعية والنفسية والعاطفية والاقتصادية والفنية ليحافظ بها مجوها لياما تحت هذا الشكل المبسط المنقى المصطنع، الذي يفرضه زمن التقويم، فما دام ذاك كلبه
عندما نقول إننا لا نستطيع أن نستغني عن التاريخ، فهو الذي يشمل القسم الأكبر من التفسير ومن أصل الواقعات البشرية.

لهذا فإن الحديث عن السريانية – العربية: الجذور والإمتداد هو تذكر بمضمار نحن ننساء أبناء هذه المنطقة، فيما اعتاد الآخرون منهم أرمن أن يدرسوا اللغة السريانية بعد اليونانية والعبرانية، وأما السريان أنفسهم ولا سيما الذين يقطنون سورية ولبنان والأردن وفلسطين فترى بداية من الأسف أنهم ساروا منذ زمان يحتفلون هذه اللغة الشرفية التي يجد الغرباء في أقصى أطراف الدنيا في تعلمها ويصرفونهم الجزيلًا في توسيع علمها. حتى أننا أدركنا أنهم الآن في هذه البلاد من يبذل أدني سعي في أحكام لغته هذه القديمة، بل أننا لا نستغرب كل الاستغرب والتاسف أن يرى أهالي البلدان التي ذكرناها سابقا مع العراق الذين هم كله من الجنس السرياني إلا الأم لغة القليلة التي اختلقت معهم من عرب وغيرهم قد نسروا أصلهم في الغالب وقلما يوجد منهم اليوم من يعرف أنه هو في الأصل السريان جنسا إلا الذين هم سريان في المذهب الذيين).

إن العناد التي نوليها لأوائدينا وهي شواهد خرساء على عظيمة الحضارات التي سوت بالمنطقة، تجعلنا نتساءل عن سر عدم الاهتمام بالمحافظة على اللغة السريانية التي قامتب في سورية، حتى كنا نسخها من الوجود، وكأنها تذكر بمضمار نهابه فنحاول تجاوزه أو تطميه.

ربما كانت مادة هذا الكتاب بما حوته من حقائق تاريخية، قد أزاحت الكثير مما غمض عن أعين المؤرخين حين تناولوا العربية دون ربطها بالسريانية وهذا ما ألمنا أن نقوم به في هذا الكتاب، الذي وضعنا له في البداية، عنوان (السوريين والهوية الثقافية السيرانية)
ولظروف قاهرة عدد العنوان إلى (السريانية الزدى والإمتداد). مع بعض التعديلات.

سيمير عبيد

ص 914 ب دمشق

المطران يوسف داود: اللثمة الشهية في نحو اللغة السيرانية. جزءان طبع في دير الآباء الدوميكيين - الموصل 1898 الجزء الأول ص 24.
تهيّه

يهدف هذا الكتاب فيما يهدف إلى إعادة كتابة تاريخ سورّية طبيعيّة، وإلقاء الضوء على ماضٍ لم يعط حقه كما يجب، فالحدود المصطنعة التي وُجدت بعد اتفاقية سايكس – بيكو 1916(1) والتقسيم الذي فرض لتطبيع سورّية(2) جعل دول المنطقة تتجه إلى الكيانات الصغيرة، وبالتالي طمس التاريخ العريق لهذه البلاد عبر حدود ضيقة تناول الحاضر دون الرجوع إلى الماضي ووعيه.

إعادة بناء الحاضر يجب أن تتم في أن واحد مع عملية إعادة بناء الماضي، وذلك بتقسيم عناصره وإعادة ترتيب العلاقة بين أجزائه بصورة تجعله كلاً جديداً قادراً على أن يسعى نفسه، على أن يكون أرضًا لأقدام المستقبل(3).

والتاريخ الثقافي سوراني كما هو سائد اليوم هو تاريخ علوم وفنون من المعرفة منفصلة بعضها عن بعض، تاريخ زمنه راكد وممزق لا يقدم لنا صورة واضحة ومتكاملة عن كلية الفكر الذي ساد في المنطقة ولا عن صراعاته ومرآله تطوره، بل يقدم لنا (معرضًا) أو (سوقًا) للبناعة الثقافيّة الماضية وكأنها تحيا زمنًا واحدًا، زمنًا يعاصر فيه القديم الجديد مثلما تعاصر البناعة القديمة البناعة الجديدة خلال فترة المعرض أو السوق، والنتيجة من ذلك تداخل الأزمنة الثقافية في وعينا بتاريخنا الثقافي، الأمة الذي يفقدنا الحس التاريخي، ويجعل حلقات الماضي تتراهي أمامنا لمشاهد مترانّطة وليس كمراحل متعاقبة، هكذا يتحول حاضرنا إلى (معرض) لمطيات مضامين، فنقضيّنا ماضيًا في حاضرنا هكذا جملة واحدة، دون تغيير ودون تاريخ.

(1) رمزي مبور: النتائج السياسية للحرب العظمى، ترجمة محمود بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1932 ص 186.
(2) جيمس موريس: الملك الكاهن، بيروت 1959 ص 88.
(3) د. محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1989 ص 29.
إن الماضى والمستقبل هما كالحاضر ليسا واقعين جامدين ولا شبحين ملفوين في كتلة من الضباب، بل هما صيرة وحركة ونتيجة صيرة وحركة.

والكلام عن الهوية الثقافية السورية يثير التساؤلات، عدا إثارته للعواطف التي تصبها على الهوية التي ننتمي إليها أو نتعلق بها، فالآثر السرياني في حياتنا الفكرية والعملية كبير، وكي نفهم هذا البعد علينا أن نقوي الأساس القومي، فالأمم هي أجزاء حضارية صغيرة من مجتمع حضاري كبير، لا هو بالقومي ولا هو بالعالمي، إنما بين بین، ومعنى آخر لا يمكن تاريخياً فهم أي جزء من أجزاء المجتمع الكبير فهماً كاملاً تماماً، دون النظر إلى علاقاته التاريخية ضمن هذا المجتمع الكبير، وعلى هذا الأساس لا يمكننا أن نفهم الحضارة الإسلامية، إلا إذا فهمنا تاريخ سورية، وكذلك لا يمكن فهم تاريخ سورية، في هذه الفترة البعيدة، إلا إذا درسنا ضمن هذه الوحدة التاريخية الممكنة الإدارية، التي هي مجتمع الشرق الأوسط الإسلامي.

وقد جرت العادة أن كل حضارة جنيرة بالاحترام استمرت بالإمبراطور والامتناع تجاه الأجانب، بينما عكس الحال بين الحضارة السورية السريانية والحضارة العربية الإسلامية، فالإتلافان لا يفوتان الفرص، لذ كتعابضهما معاً في حضارة المنطقة دون أن نستثنى الأصوات غير المدرجة ليصيرورة التاريخ في ذلك.

ويمكننا إيراد ألف شاهد على ما نقول، فقد كان اليونانيون يشورون الألباب لأنهم خلقوا يونانيين وليسوا بربريين، رجالاً وليسوا نساء، أحراراً وليسوا عبداً، ولم يخف الصينيون رعبهم ما أسماه (السياطين الأجنبية الدمية) التي جاءت إلى شوارتهم، ولا يبدو أنهم قد اهتموا على نحو جاد ولمدة ألفي عام أو ما يزيد - بأي مجال ممكن مجالات الثقافة الأجنبية باستثناء الموجبة الهندية، وصناعة السجاد والخزف الفارسي. ففي عام 1793 عبر الإمبراطور عن توجه بلاده إزاء أوروبا بقدر من الحكمة والذكاء، وأن يكون باللباقية الكافية، وذلك من خلال ما قاله للمبعوث البريطاني الذي جاء يسعى إلى إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية.

(إذا كان احترامكم وتبجيلكم لسلالتنا المقدسة، يملؤكم بالرغبة في استيعاب حضارتنا، فإن احتفالتنا ونظم قوانيننا تختلف كلياً عن تلك التي تمكنها، وحتى إذا كان مبعوثكم قدـ
تمكن من استيعاب مبادئ حضارتنا فإنهم لن يستطيعوا نقل عاداتنا وخصوصيتنا إلى أرضنا الغريبة عنا، لقد احتفظت الف يستقل الإمبراطورية بالدك المنازل كل البلدان على وجه هذِه الأرض، وقد ملوك كل الأمم الأثرياء الباهظة عبر البر والبحر، وكما يرى سفيركم بنفسه، فإننا نملك كل شيء، وأننا لا أجد قيمة للأشياء الغريبة أو المبتدعة، لذا لا أجد أي فائدة لصناعات بلدكم(1).

أما التوجه الهندسي فقد كان بسيطاً، إذ يصبح كل من سنافر إلى أرض غريبة كاتناً ملوثاً، أما بالنسبة إلى المسلمين في القرن الرابع عشر، فقال ابن خلدون العظيم أنه بسبب سوء المناخ فإن أخلاق الزنوج (قريبة من خلق الحيوانات... وكذلك القصالية)(1).

وعلى الرغم من النظرة إلى الأوروبيين التي كانت سائدة آنذاك والتي اعتبرتهم كاملي الإنسانية، بل وعلى درجة عالية من التحضير، إلا أنه لا ابن خلدون ولا من جاؤوا قبله أو بعده بنلوا أي جهد ولو طفيف لمحاولة تعلم لغاتهم أو دراسة ثقافاتهم(2) ولتأكيد هذا السأرأى نرى أنه في القرن الثاني عشر، حين وصف الرحالة ابن جبير جزيرة صقلية وغيرها من الأراضي المسيحية، فإنه لم يعرف عن أي أهتمام بعاداته سكان تلك المناطق أو مؤسساتهم، بل أنه لم يكلف عن استزال لعنين الله على أولئك (الكفرة)، ويمكن ذكر أضعاف مثل هذه الأمثلة:

حينما أخبر السفير الفرنسي في منتصف القرن السابع عشر الصدر الأعظم محمد كوريلي أن مولاه قد استولى على مدينة أراس القوية من الإسبان، لم يكن راد الصدر الأعظم أكثر من: (ماذا يهمني فيما إذا كان الكاب هو الذي يضع الخنزير أو الخنزير هو الذي يضع الكاب، سوآ أن يكون رأس سدي في أمان؟)(1). وعلى صعيد آخر، خلص مصطفى نعمة — وهو من معاصر نيوتن ولاينز وأولر - من دراسته المستفيضة لأعمال عدد من الباحثين العثمانيين المتواضعين إلى هذه الملاحظة:


(1) ابن خلدون: المقدمة تحقيق علي عبد الواحد وافي لجنة البيان العربي - القاهرة 1958 الجزء الثانى ص 89.

(2) شارل عيساوي: تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية-بروت 1991 ص 116.

(ويكفي هذا جدًا لإيقاف غيرة المسيحيين، إذا لم يكن هذا يروتك، فأعرض عنه ولا تحفظ به).

نعود بعد هذه الشهادات لنقول إنها لا تعكس بهذه الاستشهادات سوى تصحيح الرأي بما يتناول بشأن مسألة التاريخ، وحركته، فإذا كانت الأثنيات التي سكنت هذه المنطقة قد انصهرت في بوتقة القومية العربية، فهذا لا يمكن من تناول الجذور، بل ذلك دعم للقائم، وبالتالي ترسخ له، وليس غير ذلك، كما قد يؤذن البعض، وليس هدف الكتاب قلب الحاضر بل تجذيره بشكل علمي أشمل.

إن الأمة السورية التي بنت حضارتها عبر التاريخ، الممتد لألاف السنين لا يمكن حصره بما بين في الوقت الحاضر، ففنية الإنسان وعقليته لها امتدادات عميقية في القدم، لا تقاس بمنة ألف سنة، وبالتالي من حق كتاب التاريخ دراستها وإقامة الضوء عليها حتى تستنير الصورة وتأخذ مكانا في أي دراسة توضع لهذه المنطقة أو تلك.

وإذا كان الكتاب قد اتخذ من السريانية - العربية دليلا في طروحاته، فإن كلمة (سرياني) - ولو أنها ضيقة المعنى - هو ما أضافه عليها بعض المؤرخين من أمثال الأب شابو وروبنز دوفال حيث قصر هذا الفهم على الأدب المسيحي المكتوب باللغة السريانية. وكما هو معروف فإن بلاد الشام استعملت هذه اللغة لزمن طويل، ولقد بقيت منشورة فيها انتشرًا واسعًا حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ومن ثم اضحت إلا في ثلاث قرى سورية تقع في الشمال من دمشق ومعظم سكانها من المسلمين.

إن الآرامية السريانية، والتي يجمع العلماء على أن السريانية جاءت نسبة إلى سورية، تشتمل أقواها عديدة يعيش بعضها خارج سورية ولا يمد إليها بصلة، لهذا أصبح مفهوم السريانية، بعد السيطرة العربية، مقتصرًا على لغة مسيحية سورية وبعض العراق، وهذا ما يعنيه عادة العلماء الذين يساوون بين السريانية والأدب المسيحي السوري.

رب سائل يسأل: لم حصرنا بحثنا في السريان دون غيرهم من شعوب سكنت هذه المنطقة، وجوابنا هو أن السريان هم سكان سورية الأصليين لهم امتدادهم إلى وقتنا الحاضر من خلال الكنيسة الشرقية التي تضم الأمم الآرامية اللغة، سواء كانت لهجتها

---

العربية أو شرقية، التي عاشت في فلسطين وسوريا ولبنان وما بين النهرين وبلاد الفرس
وبلاد العرب، وتحررت بحكم الزمن والأحداث السياسية والمكانيّة والمذهبية إلى سرّيّان
وأشوريين وكلدان وموارنة ومؤخراً إلى سرنيّان كاثوليك.

إن غايتها فيما ندوبه هو أن السريانية هي ربيّة للبيئة السورّية، تشمل كل من استخدم
تلك اللغة في بلاد الشام أو أنتج فكراً وعلماً فيها من ترك أثراً في الخط الحضاري الذي
نشأ بعد دخول الإسلام، ولذلك فكلمة سرياني تعني لنا (سوري) قبل إسلامي، وليس مجرد
من استخدم اللغة السريانية من الكتاب المسيحيين، وقد تكون هذه التسمية مفتعلة أو مختلطة،
ولكنها مناسبة في محاولة وصف دور السريان في الحياة الفكرية والعلمية التي سبقت
الإسلام بقرون.

وهناك من قد يرى أننا في تناولنا لموضوع غير عربي أو غير إسلامي هو خروج لما
جرى في السابق، وعلى ذلك نقول إن العربية المتجمّسة في روحنا وفكرونا لا تعني ميو إن إلقاء
الضوء على الأصل الذي بنى عليه هامته، وأننا نفرق بين الإسلام كعقيدة دينية والإسلام
حضاريّة، فإذا كان الإسلام كعقيدة ثابتاً فالإسلام حضاريّة متحولة، والحضاريّة هي ما يحققه
الإنسان في الطبيعة، الحضارية تعني ما يحدثه أو يبدعه الإنسان في كائن ما، أو
في أمر طبيعي يصبح له قيمة، فالحضاريّة التي ظهرت في بلاد الروم، وفيما بعد في العالم
العربي كله، هي من صنع الناس الذين قطنوا هذه البلاد.

وكلنا يعرف أن لم يكن لعرب الجزيرة ما يصبح أن نسمي علماً متكاملاً، بمعنى دراسة
منظمة للطبيعة ومظاهرها وقوانينها، فالتراث العلمي العربي لم يتولد إلا مع الإسلام، وبعد
ظهور الإسلام، فالفلسفة مثلاً والطب وعلوم الطبيعة لم تظهر من العدم، بل مين أصول
مختلفة، ومصادر متعددة، ومن هذه الأصول، أصل عميق الجذور هو الأصل السرياني،
والشعب السوري يقف اليوم على حد من الزمن، يتحاده فيه ماضيّه المجيد، ومستقبله
الغامض، فإن لم يجعل العلم المنتهي قدرة وقيمته بعض عده في الاستجابة لهذا
التحدي، فأغلب الظن أنه سيبقى متخفاً عن ركب الزمن، مستضعفاً عند العدو والصديق.
كلهما، وهي ويتنا السريانية متغلظة في تاريختنا السوري وهي رهن بمشهدتنا وأننا نستطيع بالاستناد إليها أن نجم موارنا الإنسانية والطبيعية أتم إنماء وأفضله، وأن الإيمان بأننا نستطيع، ينبغي أن يكون حجر الزاوية في منهج كل معهد من معاهد التعليم، وكل وسيلة من وسائل التربية.

وتحن إذا صرفنا النظر هنيئة عن المعاني الدينية العالية التي أشرقت على أرجاء العالم، من هذه الأرض، فليس ثمة ريب أن نصيب الحضارة السريانية في بنيان الحضارة العالمية كبير.

السريانية هي الوراثة الحية المباشرة والرئيسي لحضارات بلادنا، هذه البلاد هي مهد الحضارة في العالم من خلال حضارات سومر وبابل وآشور وآرام وفيتنقية، ومنها عرف الإنسان: البيت الأول، الزراعة والصناعة الأوليّة، الكتابة المسمارية (سومر، بابل) والكتابة هي الفاصل بين (التاريخ) وما (قبل التاريخ)، الأبدية الأولى: أوغريت - رأس شمرا، بيبلوس، الملحة الأولى لأقدم الأداب جلجامش، أول دولاب وأول نظريات الهندسة والجبر التي سبقت نظريات فيثاغورس وطالس، أول تقسيم للوقت: أي سنة وأيام وساعات ودقائق، وثوان، أقدم علوم الفلك، أقدم خريطة في العالم (بابل)، أقدم التراث: حمورابي، أقدم مكتبة ومتحف: أشور بانيبال، الجامعة الأولى، أقدم طب، أول مدرسة ديمقراطية: في سومر، أقدم أكاد وأول متحف معاصر، في سومر، أقدم الحكم والأمثال التي تقدس القيم الإنسانية: أحتراء، وأول وقف للفن إلى بانيبال الأشوري(1)

لا نريد القول من دراستنا أننا نفضل هذه الحضارة عن تلك، فالكلام عن الأثر السرياني أو الدور السرياني ليس غايته القول بأن الثاني تابع للأول فكرياً أو حضاريًّا، بل تأكيد التواصل الحضاري في منطقة بلاد الشام.

سوريا

التسمية والمحفوظ

عرف (متي 4 : 24 و (لوقا 2 : 2) اسم سورية بالبلاد التي تمتد على شاطئ البحر الأبيض المتوسط والداخل، وهي التي أطلق عليها العبرانيون اسم آرام، ويقول البعض أن اسم سورية هو اختصار لكلمة أشور، وقد جرى استعمال هذا الاسم المختص بعد أن غزا الإسكندر الأكبر هذه البلاد.

ويستبعد أحد المصادر ذلك (1) ذاهباً إلى أنه لغات سياسية حاول بعضهم إيهام السريان بأنهم يتحدثون من الآشوريين، أنه اختراع الإنكليز الذين أرادوا عام 1919 أن يؤولوا من السريان جيشاً سموه آشورياً لمقاصدهم السياسية، ولا يخفى أن متي وثقت وجد قبيل الإنكليز بفترة طويلة جداً.

فيما ذكر المستشرق الفرنسي إرنست رينان أن اسم آرام بُنِّي في أيام السلوقيين باسم سورية وهو اختصار لكلمة (سورية) حسب اللفظ اليوناني، ويقي اسم آرام للذين لم يعتنقوا الدين المسيحي، وهذا الرأي غير صحيح لأن السلوقيين ملكوا وانتهى ملكهم قبل مجيء المسيح (930-950) فليس معقولاً أن يغيّر الآراميون اسمهم باسم سريان قبل مقدم المسيحية.

ومما لا شك فيه أن الآرامية والسريانية لفظتان مترابقتان، رغم اختلاف ذكرهما وتعدد لهجاتهم، وأن كلّ منهما تدل على الأخرى بتمام معناها أينما وجدت، نذكر مثالاً معاً ورد في الكتاب المقدس، وهو أقدم كتاب تاريخ صحيح، عن نعمان رئيس جيش ملك آرام (4 ملوك 5 و (لوقا 4 : 27) ترجمه النقلة بلفظ سوري أو سرياني أو شامي أو نبطي، والنبط

(1) عبد الهادي نصري: شمس آرام شمس العرب حلب 1986 ص 88.

17
قوم كانوا ينزلون بين العراقيين، وكانت الآرامية أو السريانية لغتهم الوطنية، كما نرى في الكتاب المقدس ذاته، ما بين أن لفظ سوري بمعنى سوريا قد عرف منذ عهد نبوخذ نصر (616-561 ق م)، فقد ورد في سفر يهوديث (مز 3:1) كلام عن (سكان سوري أو سوريا) ثم أثبت الكتاب مراراً بالآلف هكذا (سوريا) (متا 13:37، 29:إلف) حتى جمعه العرب فنقلوا الاسم عن السريان لا عن اليونان وقالوا (سوريا) ولم يكتبو سيريا، أو صورا، أو أشوريا، أو أثورة، كأنه منصب إلى سيري، أو صور، أو أشور، أو أثور، وذلك خليقاً لما ادعاه ربان المستقبل في مؤلف (تاريخ اللغات السامية) وجر وراءه كثيراً من المستشرقين والمؤرخين إلى أصل تاريخية.

ويرى جريس شلحت أن الآرامية معنها السريانية ولا فرق بين الاثنين سوى أن الأولى كانت أكثر شيوعاً وراء ما بين النهرين، والثانية تسليط خاصة في الوطن الذي يشرف بها (سوريا)، وهذا الفارق، على ما يبدو، هو الذي صار سبباً للبلبلة في بحث المؤرخين، الذين اقتصروا في دروسهم على ناحية من البلاد السريانية الآرامية الواسعة الأرجاء.

ويحاضر كل ذلك إدًا شير ذاكراً أن (للكلدان المسيحيين أسماء كثيرة في التواريخ، فسموا آراميين نسبة إلى أرام بن نام الذي استوطن هذه البلاد وعمرها بسنله، وفرسا لكونهم وجدوا في مملكتهم، ومشارقة لأنهم في الشرق، ونساطرة لاتباعهم تعاليم نسطورا بطريرك القسطنطينية، وسريان شرقيين تيمناً لهم من السريان الغربيين، وهم اليعاقبة، لكن اسمهم الأساسي كلدان أشوريون جنساً ووطناً لأن منشأ كنيستهم ومركزها كلدو وأشور ولغتهم الجنسية والطقسية هي الكلدانية، ويدل لها أيضاً الآرامية وغطتها سميت سريانية، كما أنه غطياً أيضاً سمى الفصائل سرياناً.

كما يذكر إدًا شير أن اسم السريان (اسم غريب خارجي أطلقه المصريون ثم اليونان على أهل سوريا، ومن اليونان استعاره الآراميون الغربيون، ومن السريان الغربيين سريى

(1) جريس شلحت: نهج حلب السريانية المطبعة المارونية، حلب الطبعة الثانية ص 15 مرجع سابق.

(2) إدًا شير: تاريخ كلدو وأشور طبع في المطبعة الكاثوليكية للأباء البسوسيني، بيروت الجزء الثاني 1913 ص المقدمة ج
إلى المتنصرعين من الأرمن الأثريون لأنهم من سوريا أنتمتهم المسيحية، فسموا باسم السريان.

تمييزاً لهم من الأرمن الأثريون الوثنيين، فإن السرياني يومئن يشير إلى أمة، بَل - إلى الديانة المسيحية لا غير.

وبرى العلامية المطران يوسف داوود بأن لفظة السريان أعمجية زعم باتل لا أصل لها لأنه قول بلا سند ولا بينة، لأن الباقين من السريان الأقدام في بلاد آشور وكردستان، وبلاد الشام إلى يومنا هذا يسمون لفهم بلسانهم سريانية، ولا يصدق أن أمة صحيحة منتشرة في جانب عظيم من الأرض تتركم اسم لسانها وجنستها، وتستبدل به اسمًا آخر أعمجياً.

ويتابع داوود قائلًا: زعم قوم أن اسم السريانية اسم أعجمي وضعه اليونانيون أولًا للأراميين، ثم دخل بين السريان وسائر الأمم إلى اليوم، وأصحاب هذا الزعم هم من علماء الأفرنج المشتغلين بالعلوم الفرنسية الذين لكثره اشتغالهم بالأمم العبرانية يتأثرون هذه اللغة كالقياس بل كالأساس لسائر اللغات السامية، وأكبر بررهانهم على أن لفظة السريان هي من وضع اليونانيين هو أن العهد القديم لا يحوي هذه اللفظة. كأن العهد القديم من الواجب أن يحوي كل أسماء الأمم والقبائل، وليس اسم الكرد واسم الترك مثلًا لا يوجد في التوراة.

ولقد ذهب البعض إلى أن لفظة سورية متأتية من مدينة صور قاعدة فينية، أو مـن لفظة (خاورو) المصرية وكانت تعتني جميع البلاد على سواحل المتوسط، ثم بدلت (خاورو) بـ (شارو) ثم بـ (سارو) ثم بسورية.

وقال مؤرخون سريان غربيون وشرقيون أن لفظة سورية متأتية من (سوري) الأرامي الذي بني مدينة أنطاكية واستولى على بلاد سورية وما بين النهرين، وهذا ما جعل

١٩
ابن الصليبي يقول (لكنهم، أعنى اليونانيين يسمونا تعبيرا لنا السريان ونحن نردهم قاتلين
أن اسم سورس الذي ملك في أناطاكية فدعيت باسمه سوريا، أما نحن فإنا من بني آرام،
وباسمه كنا نسمى يوما آراميين(1).

على أن ما ذهب إليه ابن الصليبي قد يكون مقبولاً لولا أنه مجرد أسطورة، فإن
سورس مجهول في التاريخ، والذي بني أناطاكية هو سلوقس نيكاسون أحد قواد جيش
الإسكندر الأكبر، أسسها عام 300 ق م. ودعاه أناطاكية نسبة إلى أبيه أنتيوبخس.

ومهما تعددت التسميات وتباعدت وتقارب وجهات النظر حول تحديد أصل اسم
سوريا وصلة ذلك بالسريان، فهناك رأي يقول (إن أصحاب رأي اشتاقاق لفظ السريان لـ
يعرفوا به قبل أربعمئة أو خمسمئة سنة قبل التاريخ المسيحي، أما الآراميون الشمرقيون
وهم الكلدان والأنطوريون، فإن نفس التسمية لم تعرف بينهم إلا بعد المسيح على يد الرسل
الذين تلمدوا هذه الديان، لأنهم كانوا جميعاً من سورية وفلسطين، وذلك إذا كان أجدادهم
المتنصرعون شديدي التمسك بالدين المسيحي أحبو أن يسموا باسم مشيرين، فتركوا اسمهم
القديم، واتخذوا اسم السريان ليتمازوا عن بني جنسهم الآراميين الوثنيين، ولذا أصبحت
لفظة الآرامي مرادفة للفظة الصابي والوثني، ولفظة السرياني مرادفة للفظة المسيحية
والنصراني(2).

أما المسعودي في (مروج الذهب) وفي فصل (ذكر ملوك السريانين ولمع من
أخبارهم) يقول (إن أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطفان، وقد توزع فيهم وفي النبط،
فمن الناس من رأى السريان هم النبط، ومنهم من رأى أنهم أخوة لولد ماس بن نيط، ومنهم
من رأى غير ذلك(3).

(1) الدكتور فيليب حن: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة د. جورج حداد ود. عبد الكريم رافق. جزء الأول دار الثقافة بيروت 1988 ص 184.
(2) النقس يعقوب الكلداني: دليل الراغبين في لغة الآراميين مطبوعات دير الآباء الرومانيين الموصل 1900 ص 11.
(3) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب المطبعة البهية المصرية 1346هـ الجزء الأول ص 129.
ويبري الجهشياري أن (أول من وضع الكتاب السرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام)

أما الأب أسحق ساكا فله رأي بصدد تسمية السريان في سورية (من المقرر تاريخيًا أنه في القرن الخامس ق.م. انتمج الأراميون في الآثريين، وخضعوا لهم، وأصبحوا أمية واحدة، وبحسب سلطانهم على سورية الداخلية (سورية الحالية، ما بين النهرين - فلسطين - لبنان)، ولم يدخل اليونان الأقدمون هذه البلاد ورأوها خاضعة لسلطة ملوك آشور أطلقوا عليها سورية الممولة عن آشور أو آشور، وذلك بأن أبلدوا النداء بالسنين لسورية اللطف وقالوا (آشور) أو (سري)، ثم لمزيد من السهولة حذفوا ألف الابتداء فصارت (سورية) و(سري)، ومنها أنت لفظة السريان، وعليه إن أصل التسمية ممولة منسوبة إلى آشور، كما أن لفظة الآرامي منسوبة إلى آرام أخويه، وأخطأ من زعم أن الآراميين تركوا اسمهم القدم واتخذوا لأنفسهم (السريان) تسمية جديدة، إنما أصبح الطرفان يسميان بكلمتين التسميتين، إلا أن لفظة السريان كانت الأغلب والأعم.

وقد استعمل اسم (سري) بالانكليزية حتى العصر الحديث كتسمية عرقية تشتمل سكان سورية كلها، غير أنه يستعمل الآن للدلالة على رعايا الجمهورية السورية فقط كمصطلح لغوي، فإن اسم (سري) بالانكليزية يشير إلى جميع الشعوب التي تتكلم السريانية، ومنهم الذين في العراق وسوريا ولبنان والأردن، وبقية بلاد الابتلاع وحتى في جنوب هند (7)، بحيث يستطيع القول إن تعريز Syrian يشير إلى المواطن السوري، كما يشير إلى السرياني، أما إذا قصدنا تعريفه بطائفته فلننا

سوري

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: كتاب الوزراه والكتاب مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة 1938 ص.32.
(3) سمير عيده: السريان قديماً وحديثاً المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان 1997 ص.32

31
السوري تعني السرياني (1) بعد أن أصبح اسمًا جنسياً أو وطنياً لكل من يقطن هذه البلاد.

حدود سوريا

إن الحدود الحالية للجمهورية العربية السورية هي حدود حديثة أُوجدت في بداية القرن العشرين، وحيث أننا نتكلم عن حقبة تاريخية وعن حضارة عالمية، فإن ذكر هذه الحدود كما وردت في سياق التاريخ يعطينا فكرة عن الحدود الحضارية لسورية لا الحدود السياسية.

وتكون سوريا من مرتعات وسهول تمتد من الشمال إلى الجنوب بدأها شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وتبدأ من الغرب بسهل خصيب يزيد ارتفاعه إلى الشرق حتى يبلغ 500 قدم، ويبلغ عرضه في بعض الأماكن ثمانية أميال، وتقع فيه مدن اللاذقية وطرابلس وبورتو، ويتلو هذا السهل جبال أعلاها جبلا كاسيوس الذي يبلغ ارتفاعه 5750 قدمًا، وجبل صنين الذي يبلغ ارتفاعه 8780 قدمًا، وتقع في جنوب هذه الجبال بيرية التيه. ثم تللو سلسلة الجبال هذه جبال أخرى وهي تواجه لبنان وتمتد للجبل إلى جبل حرمون، وتقع في جنوبها جلعاد ومواد وأدوم، ثم يليها هذه السلسلة مرتعات جبل العرب، ثم يليها هذه الجبال إلى الشرق أرض ضيقة مزروعة يجري فيها نهر أباني (بردي) وهو مصدر حياة مدينة

(1) في عام 1997 فازت الكاتبة الهندية (ارونداتي روا) بجائزة بوكر الإنجليزية، وهي من أرفع الجوائز الأدبية، نقل عن أصلها أنغام سورية، لأنها تنتسب إلى الطائفة السريانية السورية في الهند، التي امتدت إليها السريان منذ مئات السنين بعد أن هاجر البعض منهم إليها، فأصبحت قوميًا للسوريين والسوريين جاليَة كبيرة تعدادها يفوق على ثلاثة ملايين ونصف.

 دمشق التي تقع في هذا الجزء، ثم يليه هذا بعض الأنهار والينابيع التي تتحكم الجبال في سيرها وكمية مياهها.(1)
وكلت مساحة سورية في عهد الإمبراطورية الرومانية (109) ألف كيلو متر مربع.
وعدد سكانها في تلك الفترة (أي عام 4 م) 3 ملايين، فيما وصل عدد السكان في القرن الثاني بعد الميلاد بين 5 و 6 مليون نسمة.(2)
ويتضح مما ذكرناه أن سورية كانت الشريط الساحلي لشريحة البحر المتوسط وبعما يتجاوز الهرفة كيلومتر، ولكن عدد السكان (قد) لا يمثل الحقيقة، لأنها لا توجد أرقام مؤثّرة بها حتى عن فترة القرن التاسع عشر والتي امتدت على عوائد الضرائب، فقد قدر العدد ما بين مليون و 1,84,000 نسمة، غير أن معظم تلك التقديرات قد تراوحت بين 1,200,000 و 1,450,000 ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، ارتفع الرقم إلى ما يربو على 3,5 ملايين نسمة.(3) فيما يذكر أحد المصادر عدد السكان عام 1900 (5,3) ملايين نسمة(4).
إن رقعة سورية تغيرت عبر التاريخ حتى أنها (كانت تشتمل أحياناً ما بين النهرين وأرمينيا وبعض أسا الصغرى وبعض بلاد العرب، وتضيق أحياناً عن هذه(5)، كما ورد اسم ميزيابنة (ولادة) أسبرستان في نقص بيهستون العائد للإمبراطور الفارسي الأشميني داريوس في القرن السادس قبل الميلاد دالة على ما يشكل حالياً سوريا والعراق ولبنان وفلسطين والأردن، وفي عهد السلوقين خلفاء الأسكندر المقدوني (350 - 323م) شاع اسم سوريا، وشملت دلالاته المساحة التي شملتها تسمية أسبرستان وأسبريريا في عهد الفرس الأشمينيين التي سادت بين القرن السابع ق.م. حتى هزيمة داريوس الثالث أماً

---

(1) نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس مكتبة المشعل بيروت الطبعة السادسة 1981 ص 492.
(4) ذ. غسان سلامة: المجتمع والدولة في الشرق العربي، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 1987 ص 161.
(5) يوسف الدبيش: تاريخ سوريا الجزء الأول، المجلد الأول بيروت 1893 ص 2.
الاختصار (بلاد الشام)، أي باستثناء العراق الحالي من الدائرة الأقدم، ناجمًا عن تراجع حدود سوريا السلوقي، أمام زحف الفرس الساسانيين 21 آب م. إلى غرب نهر الفرات.

أما في العهد البيزنطي فقد قسمت سوريا إداريًا إلى سوريا الأولى وعاصمتها أنطاكية، وتشمل اللاذقية وبين حلب وقنيسة. وسوريا الثانية وعاصمتها فاميسخا، وتشمل حمص والرستن وفينيقية الأولى. عاصمتها سور وتشمل صيدا وبيروت وجبل، وفيبيقية الثانية عاصمتها حمص وتشمل دمشق ومنبع وتدمر، وعاصمتها فلسطين الأولى (قبرصية) وثانية (بيساني) وثالثة (البرزة) (1).

كما شهدت سوريا تقسيمات أخرى مثل سوريا المجوفة: السهل بين جبل لبنان الغربي والجبيل الشرقي المقابل له (أنتيل لبنان)، وسوريا الداخلة: منطقة غرب نهر الفرات وفلسطين، وسوريا الخارجة: أشر وسما بين النهرين (2) وعند الفتح الإسلامي لسوريا في القرن السابع الميلادي (لم يكن يطلق الاسم إلا على القسم الغربي الأوسط من خارطة ديار الشام كما نعرفها، وبدخل في ذلك قسم من العراق (3)، وفي العهد العثماني تطورت دلالة الاسم الجغرافية مع دالاء بلاد الشام، وفي يوسف الدبس (فاضت ولايات حلب ودمشق وبيروت ومصرفين لبنان والقدس) (4)، ولكن اسم سوريا في العصر العثماني أطلق على ولاية ضمت فقط (شام شريف وحماه وحوران ومعان) (5) وهذه لا تشكل إلا جزءًا ضخيمًا من المساحة التي يذكر الدبس، واقتصرت منذ 1946 على الجمهورية العربية السورية.

وفي القرن العشرين، وخاصة في النصف الأول منه، وضع مصطلح سوريا في أكثر من اتجاه يمكن إبراد ثلاثة منها. منطقة الهلال الخصيب إضافة إلى قبرص، وهو ما يفترضه الحرب القومي السوري لمفعوله في الوحدة السورية (منطقاً من جبال طوروس في الشمال الشرقي إلى قناة

---

(1) فؤاد أكرم البستاني: دائرة معارف البستاني الجزء الرابع عشر بيروت 1983 ص 81
(2) سعد سعد: مجموش الشرق الأوسط دار الجبل بيروت 1998 ص 231
(3) د. عفيف بنسي: الشام والحضارة وزارة الثقافة دمشق 1991 ص 19-22
(4) يوسف الدبس: تاريخ سوريا الجزء الثالث، المجلد الأول ص 2 مرجع سابق.
السويق والبحر الأحمر السوري (المتوسط) في الغرب شاملة جزيرة قبرص إلى قوس الصحراء العربية وخليل العجم في الشرق، ويعبر عنه بلغة الهلال الخصيب(1) مصطلح بلاد الشام الذي أطلقه الملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن، ويشمل سوريا وفلسطين والأردن ولبنان، وسمي سوريا الكبرى(2).

المشروع الفرنسي الذي يهدف إلى تشكيل سوريا الكبرى وفقه امتداداً لثقافة فرنسا واقتصادها مستندة في ذلك إلى عمق تاريخي لها في هذه المنطقة، كما قال مفكروها(3).

ومن ناحية أخرى، سورية الطبيعية سميت بلاد الشام وهي التي قامت إلى الغرب من آسيا مستندة شرقية البحر المتوسط، من جبال طوروس شماليًا إلى صحراء سيناء، وكليج العقبة جنوبًا من الجزيرة وفرات وبداية الشام شرقاً إلى البحر المتوسط غربًا، وتضم هذه الرقعة الآن الجمهورية العربية السورية ولبنان وفلسطين والأردن وكيليكيا. ويبعد خط حدود بلاد الشام جنوبًا من ميناء العقبة ثم يتجه نحو الشمال الغربي حتى يصل إلى رفح، وهـي آخر حدود بلاد الشام مع مصر، وعند الساحل بين رفح حتى مدينة طرطوس (تقع الآن في تركيا وهي غير طرطوس السورية)، ويبتدأ خط الحدود الشرقي من العقبة شماليًا حتى يصل إلى نهر الفرات عند مدينة الربحية، ثم ينحرف ليصل إلى مرجع ومنها يتجه إلى طرطوس. ويصل أقصى امتداد لهذه البلاد من الجنوب للشمال إلى ما يقارب 850 كم، وعرضها حوالي 350 كم، وطول ساحلها 750 كم، ومساحتها الإجمالية حوالي أربعمائة ألف كيلومتر مربع.

هذه الحدود التي رسمناها كانت تستعمل الأرامية السريانية في صدر المسيحية منذ ألفي عام بالرغم من سعة الانتشار اليونانية لأنها كانت لغة الشعب، ولم تطردها إلا اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي، ولكنها لم تنطفئ تماماً لأنها لا تزال محكية في بعض قرى سوريا، ولو بصورة متغيره كثيراً.

---

(1) أسعد الأشرفي: تاريخ سوريا الجزء الأول الطبعة الأولى بيروت 1978 ص 77.
(2) عبد الله الحسين: مذكرات الملك عبد الله مقدمة وإشراف مصطفى خرسان القاهرة ص 22.
(3) د. نوافان قرقوط: الحركة الوطنية السورية مرجع سابق ص 189.
وطالما أن السريان هم سكان سورية الأصليين وهم امتداد للآراميين الذين سكنوا هذه المنطقة منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وجاء ذكرهم قبل ميلاد المسيح بخمسمائة عام تقريباً، فهم الفضل على إبقاء اللغة الآرامية وتطويرها على امتداد السنين فبقت إلى الوقت الحالي، يتكلمها المسلم والمسيحي في أرجاء سورية.

وغير هذا وذاك، أعطت هذه اللغة الكثير لشقيقتها العربية فكان التزاوج في أحيان كثيرة كبير جداً حتى أن الكثير من الكلمات التي نتناولها أصلها سرياني، نلمذ ذلك في أسماء المدن والقرى السورية، حتى أن نصف هذه الأسماء هي سريانية الأصل كما أن اللغة العامية التي نتكلمها في كل لحظة يصل تعدادها في بعض مناطق سورية إلى الثمانين بالماطنة كلها سريانية الأصل، وقد ذكرنا في نهاية هذا الكتاب البعض من أسماء المدن والقرى السورية مع بعض النماذج من الكلمات العامية، حتى نضع القارئ في الصورة الصحيحة لما سنتناوله في هذا الكتاب وهذا ما يضفي على اسم سورية الصبغة السريانية لأنها لا زالت قائمة بيننا نلمذ وقعها يومياً.
الهوية السورية

تتجّد الدلالة العلمية لتبلور الشعب السوري على أساس التفاعلات الحضارية، عرقيّة المنطقة جنساً وتراثاً. فمن ناحية الجنس فإن كل الدماء ممازجت في عروق بنينها، ومن ناحية التراث فإن كل إبادات المنطقة تمثلت الحضارة العربية، وعندت في مكوناتها. فالعرب المعاصرون يضربون بجذورهم في أعماق تاريخ كل قطر عربي، وهم الوارثون لكل ما أبدعه الإنسان ما بين المحيط والخليج منذ البدايات الأولى للاستيطان البشري والتحول للزراعة والعمران. وأصالة العرب لم تتأت بحكم اتصالهم فقط إلى الجزيرة - خزان الشعوب منذ القدم - وإنما بسبب انصهار الغالبية الساحقة لأعراق شعوب المنطقة في الأمة حديثة التكوين.

وجاء بروز دور الأقليلات (العرقية) الأصيلة في الحياة العربية إبداعاً وطبولة، وكان طبيعيًا بحكم هذه العلاقة أن يأتي إبداع نخبة الأقليلات ضمن السياق العام، وأن تمدها الأمّة بالثقة والثقة اللازمة لتمكينهم من البروز، وأن يحظى دورهم الإبداعي والنضالي بتقدير الأمّة نخباً وجمهوراً، دون أن يعني أحد بالسؤال عن نسبة (الدم) العربي في أمثال (طارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي من أبطال الأسّام أو أحمد شوقي وعبد الحميد بن باديس من مبديع العصر) أو من أئمة آخرين ساهموا في إبادات المنطقة من أمثال ابن العبدي وحبيبي بن عدي والأخطل الشاعر الكبير وأل حنين في الترجمة وغيرهم وغيرهم الكثير.

وقد عرف ستولمان (5) الخارطة الدينية بأنها عبارة عن منطقة إقليمية - جغرافية خزنت في ذهن الفرد، ويعتمد هذا التخزين على مقدار العملية البنائية والخُبرات السابقة

---

(2) سمير عبد السّرّي: السّرّياني قديماً وحديثاً المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان 1997 خاصه الفصل الثالث المؤثرات السريانية في الحضارة العربية والإسلامية من صفحة 53 إلى 81 مرجع سابق.
لدى ذلك الفرد، ويقصد بالعملية البنائية التدريس والتدريب الذي يتلقاه الفرد في حياته، وكذلك استعداده للتعليم وقدراتاه الذاتية، أما خبراته في رسم الخارطة واستخدامها لأغراض مختلفة، فيعتمد على ممارساته لما تعلمه وتدرّب عليه سابقاً. يمكن أن يقوم الفرد برسم الخارطة المطلوبة منه على ورق بيضاء ويعكس عليها إدراكه لجوانبها المختلفة أو أجزاء منها. وهي هنا تعبير عن شخصيته وخبرته وقيمته وأنطاباعاته وقدراته، ومن ناحية أخرى، فإن الخارطة الذاتية تهدف إلى فهم استخدام الإنسان للبيئة المحيطة (1)، وتزودنا بفرصة للاستخدام الأسلمة للجغرافيا (2).

وهناك هدفان حيوانيان ينبغي أن يحفزا العمل في حق دراسات المنطقة، ويوجها برامج هذا العمل وخطته وإجراءاته في مراكز إنتاج المعرفة الخاصة بكل منطقة، سواء أكانت هذه المراكز في داخل هذه المنطقة أم في خارجها، وهذان الهدفان هما:

- توظيف المعرفة الخاصة بالمنطقة للارتقاء بإنسان هذه المنطقة في جميع جوهر حياته.
- توظيف المعرفة الخاصة بالمناطق المختلفة في عملية التفاهم بين المناطق والشعوب والأمم المختلفة (3).

وهذه تؤكد الملاحظة الدقيقة لأقوال البشر وأفعالهم أن كثيراً من أعمالهم ليس نتيجة لموضوع ما لديهم من قابليات وقصورات مادية وبيولوجية، فلو صح هذا لكانت عمليات التغيير الممكنة، ضمن ميدان محدد من القوى المادية والبيولوجية، عفوية. بيد أنه من المؤكد أنها لا تجلي، عفواً، فإن ضروب التغيير ضمن مختلف الجماعات الإنسانية التي لها حظر من الاستمرار التاريخي تنزع، دون شك، إلى التجمع حول معايير معينة. وتمكّن البرهنة على أن هذه المعايير تتباين لدى الجماعات التي تتمتع باستمرارية تاريخية متباقية، وهذه الأنظمة من أعمال البشر الذي تميز الجماعات الإنسانية هي الأساس الذي يمكننا من التمييز البعد الثقافي للفعل واحتواجه.

(2) Stolman, Ibid P35.
(3) عبد النبي اصطفيف: عولمة دراسات المنطقة - مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ۲۳۲ ص 41 1998/7
ولعله من الضروري أن يعالج (علم الإنسان) المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشري وانتشار البشرية على سطح الأرض، ونشوء الثقافات الإنسانية، ثم أن مناهج علم الآثار وعلم الإنسان الفيزيائي هي في أساسها مناهج التاريخ مع تعديلات تطلبها المعطيات، فنجد مثلاً أن مرحلة علم الإنسان الفيزيائي التي تدور حول تطور البشر والحيوانات العليا هي في جوهرها بحث تاريخي، ثم أن إعادة التمييز في علم الإنسان الثقافي بين تاريخ الثقافة أو علم الأجناس البشري، وبين علم الإنسان الاجتماعي تزداد رسوماً؛ فتاريخ الثقافة وعلم الأجناس يدرسان الانتشار والهجرات والتغير الثقافي، أما علم الإنسان الاجتماعي فينصب على دراسة نماذج معينة من الثقافة والشخصية.(1)

الحضارة والثقافة

كانت من عادة ابن النفيس أنه إذا أراد شرح مسألة دقيقة أو تبيان قضية إشكالية فإنه يبدأ بالقول: لنقدم قبل الشرح والبيان مقدمات لا غنى عنها ثم يشرع في تفصيل دلالة المفردات والنصوص المختلفة بهذه المسألة أو تلك القضية تمهيداً للخصوص في الموضوع.

وعلى ذلك تعتبر سمات الثقافة وأماطها، وهي طرز مسلكية متماثلة كأساليب اللباس وتأدية الشعائر الدينية، تجريدات من الدرجة الأولى يمكن تعلوها في صورة رئيسية من استقراء الملاحظة المباشرة. غير أن طول التجربة يدل على أن ضروبًا مهمة من التنويه ما لم يكن هناك فهم منهجي لتنظيم الثقافة على مستوى (أكثر عمقاً)، وهذه الثقافة الضمنية تجري من الدرجة الثانية، أو ترتيب يستنده الملاحظة المباشرة. وبهذا الضرب من الثقافة تحاول وصف الكليات المسلكية، أي المقدمات أو القيم المفهومة ضمّنا، وهي قطاع كلي من الثقافة لا يدرك نفسه الثقافة، أو هم يدركون أقل إدراك في أية صورة منظمة.

فالتقسيمات اللاشعورية، التي يضعها - على نحو متزمن - أفراد يتنمون لطبقة واحدة وبيئة واحدة، تؤلف مجموعة من مبادئ كبيرة - أو مسائل مشتركة منضمنة في قطاع واسع من المحور الثقافي.

إن مفهوم الحضارة الذي يتخذ من الإنجليزية اسم Civilization اللاتيني Civilis معين يلازمته تقدم تكنولوجي وتقنيات ثقافية تسمى بتنظيم هرمي، وهو معنى نقيس به مدى التقدم ليكون لدينا ما يمكن تسمية بمجتمع متحضر في مقابل مجتمع أقل تحضرًا. والتنوع الحضاري صبح ضرورته، ظاهرة التخلف الحضاري، وهي مظهر من مظاهر عدم التكيف والملائمة مع الوضع الجديد، حيث يكون انفصام بين الواقع والسلوك، فتقوم الظواهر الاجتماعية الجديدة على أساس القيم القديمة، حيث يتعرض كل فرد في أي حضارة لعمليات التنفسة الاجتماعية، فيتشرب قيمته، يتنسق طابعها، وفي الوقت نفسه فإن أي حضارة تتغير في الغالب وفي وقت معين، عن أن تم أعضاءها بسلك الإمكانيات التي يلمؤن بها أنفسهم لكل الاحتياطات والظروف والظروف، أو أن تنحيسهم، في كل حال، على إيجاد حلول لكل مشكلة ممكنة الحدوث.

ويمكن النظر إلى تعريف الحضارة الذي قدمناه على أنه لا يفصر بين الحضارة والتعاكس، بيد أن نظف الحضارة في القرنين الثامن عشر والتسع عشر احتضن أوساع فقيرة أن الحضارة هي قمة الإنجاز البشري، وهو معنى يضمن أن الحضارة أشمل من الثقافة فتقتصر الثقافة على المجتمع أيًا كان، أما الحضارة فتخص مسار البشرية برمتها، وهذا المسار، انتروپولوجيا، هو صراع بين الاستشرة والعالم منذ نشأة الحضارة... ذلك أن الحضارة نشأت بابتداع الإنسان التكتيك الزراعي، وقد كان من جراء ذلك أن وعي الإنسان أنه قادر على التحكم في البيئة والطبيعة تحكما عقلانياً.

وحيث أن هذا الوعي لم يكن مكتملاً فالتحكم أيضاً لم يكن عقلانياً تماماً، بل كان ممتراً بالتفكير الأسطوري ومن هنا نشأ الصراع بين العقل والأسطورة، وقد انعكس هذا الصراع على المجتمعات وعلى ثقافاتها وأصبحنا نقيس درجة التقدم الحضاري للبشرية، بدرجة عقلانيتها، وبالتالي نقيس درجة التقدم الثقافي لمجتمع معين بدرجة عقلاليته.

---

(1) د. مهدي الدين صابر ود. لويس كاميل مليكه: البند والبداية مفاهيم ومناهج المكتبة المصرية - بروت 1986 ص 11.

في مفهوم الهوية الثقافية

الهوية هي من الألفاظ الفلسفية السريانية الأصل، بمعنى الوجود الجزئي المتغير تحت الحس، في مقابل الحقيقة والمهنية المعقولتين. إن أبي يوسف يعقوب بن إسحاق، المعروف بالكندي، يصوغ من هذه الفئة فعال يهوي، بمعنى يوجد هذا الوجود الخاص، ويسمي الله تعالى (مهاي الهويات عن ليس)، أي موجود الموجودات المتميزة. ومن قولّه أن (الشيء ينهى أيضاً عن ليس بفعل المؤس). وقد ظن بعض الباحثين غير العارفين بالسريانية أن الكندي اشتق للنظرية الهوية (من ضمير الغائب المفرد هو) فقاص منها تلك المشتقات.

والواقع ليس في الضمير المذكور ما يبرر استخراج هذه المعاني الضرورية الوجودية وليس من شك لمن يدرس الواقع الثقافي في بغداد العباسيين إذ ذاك، أن الكندي أخذ هذا اللفظ ومشتقاته من السريانية من فعل Hwo هو ومعناه: صار ووجد هوويو هو الصيرورة موجودة، ولا يستبعد أن يكون قد اتخذها من اللهجة الشرقية المائلة إلى الفتح هوية، فاستناد له اللفظ والمعتنى، ووضحت مصادر الكندي، فبطلت أسباب Hwoya استغراب أبو ريدة، ناشر رسائل الفيلسوف، لهذا الأسلوب العجيب والإشكال المستجدة، إذ نعم عليه، وردت النفي بعض من نقل عن أبي ريدة أن الكندي (يسمح لنفسه التصرّف كما يشاء بالصبغ العربية فيضيف أداء التعريف إلى الضمير الغائب (هو)... ومن لفظ الهوية) ينصح لفظ الهوية ويضيف أبو ريدة (ولا نعرف من المتجمين، ولا من الفلاسفة، بعد الكندي، من يضع الاصطلاح ويستعمله على هذا النحو الفريد المدهش، والذي لا قراره غير المتخصص، لا استجابة أو لما فيه شيءًا) قلنا مثا عرف السبب بطل العجب.(1)

وأما تخل بعضهم لفظ الضمير هو أصلًا للهوية (تخيل غيرهم كذلكك أداة الشرط) (2) Aynoyutho أصلًا للظاهرة الفلسفية (انية) وأنانية)، ولا يعرف أنها سريانية الأصل (أينويوتو) وقد عربت بشكل (انية) كما في قاموس الحسن بن بهلول في القرن العاشر، وأحياناً بشكل (انية) وأحياناً أنية ومعناها في الأصل كيفية الشيء ونوعيته. وقد وردت بين التعابير الفلسفية في المؤلفات السريانية، ومنها كتاب النفس لأبرن كيفا معاصر الكندي.

(1) د. فؤاد أفرام البستاني: الكندي السرياني، المجلة البطريركية – دمشق العدد الثاني عشر السنة الثالثة شترين الأول 1963 ص 91.
(2) البطريرك مارا غغاثيوس يعقوب الثالث: الكندي والسريانية مطبعة الفاء – دمشق 1963 ص 12.
وهناك ثلاثة مستويات في الهيئة الثقافية، لشعوب من الشعوب: الهيئة الفردية، الهيئة الجمعية، والهيئة الوطنية (أو القومية)، والعلاقة بين هذه المستويات ليست قارة ولا ثابتة، بل هي في مدر وجزر دائمين، يتفاوت مدى كل منهما اتساعًا وضيقًا، بحسب الظروف وأنواع الصراع واللاصق، والتضارب واللا تضاربين التي تتحركها المصالح: المصالح الفردية والمصالح الجمعية والمصالح الوطنية والقومية.

والثقافة والهوية الثقافية والسيادة الثقافية مهددة كلما ما يمكن القول عنه أنه التكنولوجيا الحديثة التي يربط البعض بينها وبين الهوية الثقافية فيرى تنافضاً بها، أو يزاوجها بالثقافة المحلية، فيزيد دورها غموضاً وصعوبة، لهذا لا بد من التحدث عن ذلك بعض الشيء.

من المعروف أن أي تقدم في التكنولوجيا لا بد أن ينطوي على زيادة قدرة الإنسان على تحقيق تفريعه والتعبير عن نفسه، فلماذا نفترض أن من الممكن أن ينشأ تضاد أو تعارض بين التكنولوجيا والهوية؟ على التكنولوجيا هي وسيلة تحقيق الهوية ولطيفة التعبير عنها؟ أليس اللغة مثلاً كنولوجيا التعبير؟ وهل خدمة اللغة وتطويرها، أية تطوير هذا النوع من التكنولوجيا الاتصال بين الناس، يمكن أن تكون إلا خادمة للهوية.

ويرى جلال أمين أن هناك فرصة كامنة لهذا التضاد منذ قام الإنسان بصنع أولى أدواته وأكثرها بدائية، أي منذ أولى مراحل التطور التكنولوجي. فمن أن صنع الإنسان أولى أدواته الحجرية لتسهيل عملية الصيد، ضمانًا لبقاءه وتحقيق أكبر ذئبه، كان هناك دائمًا خطر في أن تستبدل هذه الأدوات نفسها وتتحول إلى أداة للخبرة بدلاً من أن تكون أداة لتحريره.

The Medium is The Massage

إن القول الشهير بأن (الاداء هي نفسها الرسالة) ينطبق في الحقيقة على أكثر صور التكنولوجيا بدائية كما ينطبق على أكثرها تطورًا. وهو قول لا يعني فقط أن طبيعة التكنولوجيا المستخدمة تؤثر تأثيرًا حاسمًا في طبيعة العمل الذي تستخدم لتقيقه، بل هو يعني أيضًا، على الأقل أن التكنولوجيا يمكن أن تحول بكل سهولة من أداة لخدمة الإنسان إلى أداة للخبرة.

(1) محمد عابد الجابري: المعرفة والهوية الثقافية مجلة المستقبل العربي بيروت عدد 228 1998 ص 14
(2) جلال أمين: المعرفة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث مجلة المستقبل العربي بيروت الحدث 234 1998 8 ص 58
دعاونا نقول إن التلقى المتزايد داخل المجتمعات المتقدمة اقتصادياً من التهديد الذي ت تعرض له بعض أنواع الحيوانات والطيور التي يهددها التقدم التكنولوجي بالانقراض، لا يقابله إما في منظور تفاعلين مختلفين من زاوية هذا التقدم التكنولوجي نفسه، مـع أن هذه التفاعلات مهددة هي أيضاً بالانقراض، ولا أريد مما ذكرته الوصول إلى القول إن ما يحدث للهيوعة الثقافية للأمة لا ينطوي بالضرورة على موقف متشابه كما يظن البعض، ولا يتضمن بالضرورة دعوة إلى رفض لكل تقدم تكنولوجي والعودة إلى ماضي ذهني أو التمسك بحاضر بغيض. لا أحد ينكر أن التطور التكنولوجي دائمًا دورًا تحريرياً، ولكن ليس من الحكمة أن نغلق على جانبه القهري، وبخاصة في ما ينطوي عليه المجتمع التكنولوجي المتقدم، كما لا يمكن القول بأي حال من الأحوال فإن قضية الخطر الذي يتعرض لهـ الهوية الثقافية هي قضية غزو ثقافة لثقافة أخرى في فض力 آمة أخرى. إن فـي هذا جانبًا من الحقيقة، ولكن هناك جانبًا آخر لابد من إبرازه. ليس هناك خطأ في القول بأن الهوية الثقافية العربية تتعرض لغزو من الثقافات الغربية أو الأمريكية، وأو في القول بأن نمط حياتنا وسلوكنا وعاداتنا في المأكل واللبس والعلاقات الاجتماعية وطرق قضاء أوقات الفراغ إلخ... تتعرض كلها للغزو أو القهر من جانب نمط حياة آمة أخرى، ولكن المبره يلاحظ أن هذا الغزو أو القهر له سمة خاصة في ظل المجتمع التكنولوجي الحديث، وأن غزو هذه الثقافة الأجنبية إذ يتم في عصر التكنولوجيا الحديث يختلف عن غيره من صور الغزو الثقافي التي عرفها تاريخ الإنسان من قبل، وهو اختلاف يستحق التَـأمل ولا يجوز المرور عليه مرور الكرام. ولا يكتفي المجتمع ما اجتمعت له من وسائل حضارية دون أن يمد بصراه إلى مـا وراء ذلك من إمكانات حضارية أخرى، وقد مررت الشعوب، حتى في أولياتها أن تسور عوالم أخرى خارج عالمها في صور شديدة الاختلاف، فهي أحيانًا مبالغة في القوة والقوة والمعرفة، وهي أحيانًا، إمضاء في الضعف والاختلاف و التأخر... مما يشير إلى أن الإنسان يدرك دائماً أن هناك أنماطًا حضارية أخرى ممكية من الوسائل الحضارية. ومثل هذا.
المرجع هو، على أي حال، تهيئة واستعداد للدخول في علاقات واسعة لحضارية خارجية مما كان نتيجة مثل هذه التجربة. (1)

سيادة الهيئة الثقافية

هناك من يقول أن تعريف الثقافة قد وصل إلى حدود المماتين، وهو ما يؤكد أننا بصدد حلل بطيئة الفموض، على أنني لم أقرأ كتابًا أو مقالًا عن الثقافة إلا وأصر كاتبه على تعريف الثقافة حتى يعرف القارئ عم يتحدث الكتاب، ولما كان لابد مما ليس منه فإني ألتزم بتعرف محمد عابد الجابري الذي يقول به (الثقافة ذلك المركب المتاجس من الذكريات والنصوصات والقيم والروم والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشريّة، تشكل أمة أو في معناها، بعوته الحضارية في إطار مهما تعرّف عليه تطورات فعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء. وبعبارة أخرى، أن الثقافة هي العصر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهمة وقراراته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يفعل). (1)

أما السيادة الثقافية فهي تنتمي فيما تنتميه إلى كيان الدولة الوطنية وسياسته، وقد ظلت الثقافة الوطنية تدبر أسباب سيادتها وتبدوها من مصدرٍ رئيسين تقليديين: التراث والتكوين معاً. عندنا في الممارسة من خلال مؤسستين: الأسرة والمدرسة، فالأولي أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتمي الوجدان الثقافي الوطني، بواسطة شبكة القيم التي توزعها من خلال التربية - على سائر أفرادها، وتلقينهم إياها في سبيل الآداب العامة الواجب احترازها، والمقدّسات التي يعين التزام الإيمان بها. كما يتلقى الطفل في هذه المؤسسة التكوينية من مؤسسات الإنتاج الاجتماعي - لفته، ومباشرة عقيدته، والقوالب الأخلاقية العامة والعليا سلوكه، كذلك يتلقى بعضًا من المبادئ المؤسسة للشعور بالأنا الجمعي: أي هوية الجماعة الوطنية التي ينتمي إليها.

(1) محي الدين صابر: التغير الحضاري وتنمية المجتمع، سرس الليان مركز تنمية المجتمع في العالم العربي 1962 ص 70-72.

(2) محمد عبد الجابري: العولمة ولحياة الثقافية مجلة لسفين العربي رقم 228/1987 ص 415 مرجع سلوق.
أما الثانية وهي المدرسة فتتفرد بكونها تنتقل بوعيها من حدود الجماعة الطبيعية (أي الأسرة) إلى رحاب الجماعة الوطنية. وعند هذه الحالة بالذات تؤدي المدرسة وظيفتها إنتاج ثقافة وطنية أو كل أساسات تلك الثقافة، إن من خلال توحيد الإدراك ومركزه على برنامج تكوين عام على صعيد الوطن برمتها، أو من خلال بذل وتكريس جملة من المبادئ التي تؤسس لقيم وعي بالأنا الجمعي (الوطني).

والهوية معناها في الأساس التفرد، والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرية إلى الكون والحياة... كيانصير، يتطور، ولن يتغير جاهزاً ونهائيً، هي تصدير وتتطور، إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تفتتح بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطعيماتهم، وأيضًا بالاحتياجات سليماً وإيجابًا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغيير متبدل.

وتتحرك الهوية الثقافية على ثلاث دورات متداخلة ذات مركز واحد: فالفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة مدنية (حزبًا أو نقابة... إلخ) هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن (أنا) لـ (أنا) داخل الجماعة نفسها يوصفها ليست إياه.

والمجموعات داخل الأمة، هي كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، وكل منها (أنا) خاصة بها، (آخر) من خلاله وعبره تتعرف على نفسها يوصفها ليست إياه.

والشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى، غير أنها أكثر تجريداً، وأوسعاً نطاقاً وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف.

إن العادات والسلوك والوسائل العادية التي تقدمها الحضارة تتوافق بقاؤها على مقدرتها على الاستمرار في إشباع تلك الحاجات، وهي حين لا تفعّل، يكون التغيير ضرورة اجتماعية، فكل جيل متطلبات ومستجدات، وبعض الوسائل أكثر فعالية في إشباع الحاجات الاجتماعية، سواء من الناحية الكمية أو الكيفية من البعض الآخر.

---

(1) عبد الإله البلغري: العولمة والهوية الثقافية - عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة مجلة المستقبلك العربي، 1999 ص 94.

Malinoweski Branislaw: Dynamics of Culture Change, New York, Yale university (1) 1954, Chap. VII.
وقد كشفت دراسات هـ. أ. مери عن عوامل الحركة للإدراك عند الفرد أنه ليس في استطاعة أي شخص أن يسجل شيئاً عن نفسه أو عن غيره دون أن يصبغه المظاهر اللاشعورية والشعورية الذاتية صبغاً قوياً وتذهب به مع التحيز والبهي. كما أننا لا نجد الطمأنينة في العدود، لأن الذين يبلعون تدريباً في ثقافة أو مدرسة ما لا يستطيع الواحد منهم أن يكون كفاءة بوزن عمل الآخر.(1)

الشخصية والعقلية السورية

يمكن القول إن استكشاف الإنسان السوري هو استكشاف للصورة المعصرة لهذا الطابع الخاص للذات السورية، وتسيرها، هو رؤية وصفية وتسجيلية وتحليلية للفرد السوري والجماعة السورية والتكوين الطبيقي السوري.

إن استكشاف الإنسان السوري هو استكشاف لسيكولوجية كائن متميز يعيش في ظروف حضارية مختلفة عن الظروف التي يعيش فيها غيره، وفيهم لعلاقات هذا الإنسان بغيره من الناس في مجتمعه، علاقاته بالدولة كتنظيم وتشريع، وعلاقاته الإنسانية والاقتصادية والبيولوجية. وليس جداً أن نؤكد أن الوصول إلى هذه العلاقات والظواهر ضرورية حيوية لإنسان العالم، فكل فهم جديد للإنسان يثري الاتصالات الإنساني بشكل أفضل وأثري.

والبعض يعتبر أن الإنسان السوري مجهول رائع، وهذا المجهول العظيم لم يكن بالضرورة في الاعتبار، بل كان واقعه من يتحرك بلا ملل كما كان هذا الواقعة أيضاً يفرض نفسه في صور تسجيلية تحظى وترقي عليه.

وأهم الصور التسجيلية للإنسان السوري هي فنه الشعبي: أزياؤه وأساطيره، كاهنته، ومواويله، بكاتبته وتصويره، في الفن الشعبي تبقى الملامح المميزة للإنسان السوري وتشير هناك، دون ما دعاء بأن هذا الطور تحليل علمي لنصوص شعبية، إذ هي تستترئ انطباعات عامة فحسب. نلاحظ أن الطابع الخاص لتقييم علاقات الصداقة وعلاقات الرحمة طابع نراه في الملامح وحتى في الأساطير.

---

 وكل حضارة وكل نهضة وكل تحول أصيل في حياة الشعوب يرتد إلى أصليين من أصول الحياة. أما الأول فهو الفكر الذي يصور الغالب التي تحدى إليها الركاب ومنه تنبى القوة المحركة، وإليه ترجع الآراء الفلسفية والدبلوماسية والاجتماعية التي تمهد طرقًا كانت ومرة من قبل، أو كانت غير متروقة، فمذاهب العلم الحديث في بناء المادة وطبيعة الطاقة، والتطور العضوي والأراء الاجتماعية الحديثة في نظام السياسة والاقتصاد والاجتماع، هي التي أفرغت عالمًا الحديث في قالبه المعاهد، وهي جميعًا صدرت أولًا من ذهن الإنسان فكآ كشة، ثم لم تثبت أن تغلبت في حياة الناس كل يوم. وأما الثاني فهو البيئة الاقتصادية والاجتماعية التي يعيش فيها الناس - فكل ما يحدث في هذه البيئة يعتبر أصيلاً فيها، من أساليب الصناعة والزراعة والتنمية في استغلال موارد الطبيعة، يغير الأحوال التي يعيش فيها الناس، فيضي بعد زمن طويل أو قصير إلى تغيير في أرائهم وأفكارهم ونظرتهم إلى الكون والحياة.

إن أهم أساس في تكوين الأمة هو الهوية الثقافية من حيث تفسيرها للكون وتنظيمه للحياة على الأرض، واللغة التي تعبر عن الفكر وعن تفاعله مع نفسه الناس الذين يتبنى هذا الفكر، وهذه العناصر هما عناصر الشخصية حيث رابطة الفكر واللغة بدلاً من رابطة العرق واللون والجنس وغيرها، وهكذا برزت الشخصية السورية.

وكلما هذه الشخصية تتحدى بمعنى توافق سلوك الفرد السوري مع شعاراتها ومبادئها، وكذلك فإن شخصيته تتكون من تفاعل نفسية العامة مع فكره واللغة التي تعبر عن هذا التفاعل، وما الحضارة والثقافة إلا نتاج لهذا التفاعل وهذا التعبير.

وتحديد معالم الشخصية السورية لا بد من فهم النفسية السورية قبل أن نرنا على الهوية الثقافية لهذا البلد.

لقد أم الفرد السوري أن الطعوم والشراب والمتطلبات المادية في الدنيا وسيلة للحياة، وأن العقيدة دستور الحياة وسبيل الخلوة، وأن الشغل الشاغل للإنسان ليس الطعام بل معرفة الكون والاستفادة من هذه المعرفة، فهو لهذا يؤمن بالوفاء بالمبادئ والاستمتاع في سبيله

ولهذا كان يؤمن يوجد إليه رغم أنه كان يعبد الأصنام التي كان يعتبرها وسيلة للتنزف من هذا الإله. وكان في الأصل محب للسلام ومحب للعمل والتجارة والفن، كما أنه منفتح على العالم والحضارات المختلفة، وقادر على التفاعل مع الثقافات الأخرى، فقد استطاع نقل علوم من سبقه ووضعها وتطويرها والإضافة إليها مبدعاً مما أحدث أثراً فيمن جاء بعده.

عرف عن المواطن السوري الإيثار والعفة والإباء والنخوة والشهامة والزهد والتضهو الصابر وقوة الاسترخاء والخيرية والاعتماد على العمل والكافح وعلى الواقعة بدل الاسترسال في الأحلام والأوهام.

واستطاعت الشخصية السورية الجمع بين الواقع والمجرد وأن تسيطر على الحياة كلها فتغدو هي الهدف والوسيلة والعقيدة، وبين الحياة الروحية التي تنمي الدافع الذاتي والضمير الإنساني.

ويأتي ذلك نتيجة العقلية السورية القائمة على المثل الأخلاقي الناجمة عن التأمل، وهي وحدها القادرة على إيجاد نشاط حركي، أعني نشاطاً خطط بتصميم مرتقب للهدف منه، والواقع يؤثر في الدافع بنفس النسبة التي يمتد فيها بين المثال وبين عالم الحياة اليومية، لكن النفس الإنسانية تعمل حينئذ في التغيير إلى ما هو أدنى.

ومن الملاحظ أن الأحداث التي تنتج نتائج عملية فينا هي أحداث تشكلها عقلتنا وتعمل فيها، وهذه العقلية لها طابع خاص، وعلى هذا الطابع تتوافق طبيعة الأحكام التقويمية التي تحكم علاقتنا بالواقع الملموس.

ويوجد هذا الطابع عادة في الأفكار المتفقة التي يخرجها إلى الوجود تأملنا في الواقع، فإذا اختفت هذه الأفكار لم يترك فراع فيه (الأحداث في ذاتها) تؤثر فيها، لكن السيطرة على عقلتنا تنتقل حينئذ إلى الآراء والمشاعر التي كانت تحت سيطرة أفكارنا متعلقة.

إن الغابة الغذاء إذا قطعت، حلت خيائل الشجور محل الأشجار السامة، وهكذا أيضاً معتقدنا الكبرى إذا حطمت حلقت عقائد صغيرة تقوم على نحو أهت مما كانت تقوم به المعتقدات الكبرى.
وفي الوقت الذي نتخلى به عن المثل الأخلاقية التي تصاحب حماستنا للواقع، فإن قدرتنا العملية لا تتحسن، بل تتضاعف. فليس من شأن ذلك أن يجعل الإنسان المعاصر ملاحظًا بارداً وحاسباً كما يظن في نفسه، لأنه خاضع لتأثير آراء وانفعالات تنشأها الواقائع في نفسه، ومن دون وعي ترابه يمزج بما هو من عمل عقله كثيراً مما هو انفعالي حتى أن الواحد ليسدا الآخر. وفي نطاق هذه الدائرة تتحرك أحكام المجتمع ودوافعه، سواء عالجنا أكبر المسائل أو أصغرها، والأفراد والأمم على السواء يتعاملون بالقيم الحقيقية والخيالية دون تمييز، وهذا الخليط نفسه من الواقعي وغير الواقعي، من التفكير الرزين والحماسة لما لا معنى لهـ هو الذي يجعل عقلية الإنسان الحديث محيرة.

وإذا أمعنا النظر إلى ما حل في العقلية السورية من انحلال بالإستناد إلى النظرية الكونية وما نجم عنها، لرأينا أن التفاوت الحقيقي قد ولى عنا دون أن يشر. أتنا لسنا جنسًا أصابه الضعف وانتابه الانحلال بسبب الإفراط في التنقية بالحياة فأصبح في حاجة إلى التماسك لإظهار القوة والمثالية وسط عواصف التاريخ، لكن على الرغم من أننا احتفظنا بقوتنا في معظم مرافق الحياة، فإننا روحياً مصابون بالهزال، ونظرتنا في الحياة بكـل ما يتوقف عليها قد انحط مستواها سواء للأفراد والجماعات، والقوى العليا لإدارة والتأثير صارت عاجزة فينا، لأن التفاوت الذي كان يجب عليها أن تستمد منه قوتها قد شاع فيه التشاؤم عن غير شعور.
اللغة السريانية السورية

يعترس السريان بلغتهم لأنها من أقدم اللغات القديمة التي لا زالت متداولة - ولو على نطاق ضيق - بِها تكلم المسيح وأقام السوريون حضارتهم في كنفها، ولا زالت كلماتها متداولة في حيالنا اليومية من خلال تداولها في أسماء المدن والقرى ولسان العامة، أو ما نزعته اللغة العربية في بعض كلماتها.

فِاللغة هي القومية، أو القومية هي اللغة، بدأت في المجتمع الإنساني دائرة صغيرة في صورة الأسرة، ثم اتسعت فشلت القبيلة، ثم زاد اتساعها فضمت القرية أو المدينة، وهكذا حتى تكون منها في العصر الحديث ما يسمى باللغة المشتركة في شعب من الشعوب.

فتساع رقعة اللغة عملية حتمية يؤكدها لنا ما نشهد من تسعه في اللغات حتى تلتك تطيف بمعظم أنحاء العالم.

واللغة ليست كما قد يظن لأول ولة مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار أو مجرد رموز لما يدور في الأذهان، بل هي تلك الوسيلة التي امتزجت بعقولنا ونفسنا، والتي سما بها الإنسان فوق الحيوان، وندنع لها بذلك القوة التي ساعدتنا على التعامل مع رفاقنا، ومنحتنا السيطرة على مخلوقات أخرى منا جسماً.

ول الوصول إلى فهم اللغة السريانية - العربية، علينا أن نلقي نظرة على تطور اللغة ومكانتها من الفكر حتى نستوعب ما تضمنته اللغة السريانية - العربية من ثروة فكرية حقيقية تراث أبقتها صامدة إلى اليوم.

تطور اللغة عند الإنسان

حين وجد الإنسان، وجد معه عقله المفكر، وفي الوقت الذي بدأ في استخدام هذا العقل، بدأ البحث عن وسيلة يعبر بها عما يجهل في خاطره، فاستعمل في ذلك الإشارة، ثم الصورة - مرسومة أو متوقِّطة - كما تدل على ذلك الآثار التي تركها منذ آلاف السنين القدماء من أجدادنا.

(1) د. إبراهيم أسكن: اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف بمصر 1970 ص. 8.
على أن اللغة ليست كتابة فقط، فالإنسان لا يحتاج إلى اللغة المكتوبة إلا في ظروف معينة تفرضها عليه ظروف خاصة. كأن يوجد أن يحفظ أفكاره ليطلع عليها من يأتي بعد موته، أو ينقلها إلى إنسان آخر يعيش بعيداً عنه، لا بد وأن تكون هناك مرحلة لغوية أخرى ألم من هذه مر بما يتيح لإنسان اللغة. فما هي هذه المرحلة؟ وما هي أهم خواصها؟ إنها بلا شك مرحلة الصوت والنطق والتعبير، وهي أساس لغة التخاطب والتفاهم. والصوت كما هو معروف، ينطلق من الفم عن اهتزازات تحدث في حبال خاصة في الحلق. تعرف طبياً باسم (الحبال الصوتية)، وهذه الاهتزازات تحدث بأمر أو إشارة خاصة ترسلها منطقة معينة في الدماغ حسب الحاجة. فتتحرك بموجبها اللسان والشفتان في صوت معبر ناطق. وأول صوت انطلق منه الإنسان كان صحيحاً، أراد بها التعبير عن شعور خاص خالجه.

ويصعب على الباحثين اليوم تحديد اسم أول لغة تكلم بها الإنسان، أو العثور على نصوص منها، ولهدى سيظل أصل اللغة وتطورها دوماً مجالاً واسعاً ل المختلفة الاجتهادات الفكرية وستظهر تكنولوجاً تتسم براعة في التفكير، لكن تأييداً بالحاقنات لن يكون ممكنًا بدءًا. على أنه يمكننا القول إن كل شيء بدأ صغيرة، ثم يكبر، وهكذا بدأت كل لغة أساسًا.

كل هجة محلية منفردة عن لغة رئيسة كانت قد تفرعت أساساً عن لهجة ما للغة رئيسة. وتحولت لهجة المحلية إلى لغة رئيسة كان يتم دائماً تحت ظروف كثيرة وعوامل عديدة أهمها السياسية، ثم بلياً الاجتماعية والمعيشية، كما حصل في اللغة الهولندية التي كانت تعتبر حتى القرن الخامس عشر لهجة ألمانية محلية ثم فرضت كلغة رسمية لسكان هولندا لها قواعدها الخاصة وأصول نموها المتنوعة.

والحال الذي يجمع أبناء الأمة العربية في حديثهم في اللغة الفصحى، وإنما إن العربي الذي يسكن في شمال أفريقيا لا يفقه شيئاً من لهجة أخيه العربي في لبنان أو العراق، والعربي الذي في رعو نجد أو الحجاز لا يفهم أخيه الذي يسكن أعلى الصعيد وغير ذلك من الأمكانت.

وكان لغة الإنسان في كل عصور التاريخ التي مررت بها الإنسانية، تمر في ظروف كانت تعيشها اليوم، لغات رئيسة تنفر عنها لهجات محلية، ثم تتحول لهجات إلى لهجات إلى حلقة متصلة ذات قاعدة واحدة.
ولتأخذ مثالاً على ذلك اللغة الهندوجرمانية التي يعتبرها علماء اللغة أساساً لمعظم لغات شعوب أوروبا وأسيا وأمريكا، لم تكن أصلاً ومنشأً سوى لغة ذات لهجات قليلة مختلفة تحولت بها القبائل الجرمانية التي سكنت وسط أوروبا ثم غزتها من شمالها وجنوبها وشوفها وغربها حتى وصلت إلى شمال أفريقيا في بعض غزواتها، وكانت كل فئة من هذه القبائل الجرمانية الغازية المهاجرة والراحلات تتخذ لها لهجة محلية في موطنها الجديد الذي غزته، وبمجرد الزمن وفعّل عوامله الكثيرة المختلفة وتأثيرها، أخذ الاختلاف بين هذه الهيئات المحلية والجرمانية الأم يستجد ويقى، حتى تحول الكثير من تلك الهيئات إلى لغات رئيسة لها نحوها وقواعدها ولهجاتها المختلفة والمتنوعة.

كما كانت هناك جماعة من القبائل الجرمانية تدعى الإنجليز، سكسمون تسكن على نهر الألبا في الشمال مما يعرف اليوم بألمانيا، ثم قامت هذه الجماعة من القبائل في القرن الخامس الميلادي ببنزو بريطانيا وإجلاء سكانها الأوائل، واتخذت تلك الجماعة الجرمانية لهجة لها لم تكن بديئة بدءًا من لهجة جرمانية محلية، تحولت بمجرد الزمن وتاثير عوامل السياسة والاجتماعية إلى لغة رئيسة كبرى تحت اللهجة مكانة بارزة بين جميع لغات العالم آلا وهي اللهجة الإنجليزية.

إن جميع اللغات، مجتمعة ومنفصلة، إنما هي ذات أصل واحد، نشأت كلهجات محلية ثم تطورت بمجرد الزمن وتضخمت عنها أو تحولت ذاتها إلى لغات، وضع لها علماءها وفقها وأصولها، حماية لها ومحافظة عليها، ولكن سنة التطور في الحياة جعلت هذه اللغات تتمدد أحياناً على ما وضع لها العلماء من أصول فكانت دائمة التغير والتطور في حلقات متشابكة متواصلة لا نهاية لها ولكنها ذات قاعدة صلبة.

اللغة والحضاراة

كل ما في الدنيا من لغات وكل ما نطق به البشر ما هو إلا ترجمة لما يتمضى عنه فكر الإنسان، بل هو الفكر الإنساني ذاته في شكل كلمات وأقوال. ولننا أن نتصور مدى التأثير والانحطاط الذي يحل بالبشرية لولا نعمه اللغة التي وهبنا إياها الخالق، فالغة وحدها، في جميع صورها وأشكالها أمكن نقل المعرفة كاملة غير منقوصة من جيل إلى جيل، وفيفضل اللغة يستطيع بعض الناس نقل أفكار واضحة عن أوضاع ومشاكل خاصة...
مرت بهم إلى البعض الآخر مع ما ينبغي اتخاذه من مسلك إزاء تلك الأمور، وبهذا يزداد حجم التراث الإنساني الثقافي والاجتماعي والفكري.

ويمكن القول أن اللغة، من حيث هي أداة للاتصال، لعبت أهم أدوارها في بناء التراث البشري الاجتماعي، فهي التي تساعد على نقل الأفكار بدقة وسهولة، ولولا قيامها بهذا الدور لما استطاعت الحضارة كما نعرفها أن تظهر إلى الوجود.

ومع أن كلمة (الحضارة) ظهرت لأول مرة عام 1757 من قبل المركز دي ميرابو في كتاب له، فإنه في كتابه اللاحق (مقال في الحضارة) وضح فيه هذا المفهوم قاتلاً: (إن حضارة شعب ما هي رقة طباعه، وعمرانه، وتهذيبه ومعماره المنتشرة بحيث يراعي القادة العلمية العامة، ويفسح المجال لقانون التنافسيات... إن الحضارة لا تفعل شيئاً للمجتمع ما لم تمنعه جوهر الفضيلة وشكلها، فمن صبب المجتمعات التي هذبت حواشيها جميع العناصر التي عدناها أنها ينبغي مفهوم الإنسانية).\(^1\)

وفي سبيل الوصول إلى هذا المفهوم في تعامل الادارة وارتباط المجتمع، لا بد من وسائل التفاهم والتواصل، وأهم هذه الوسائل اثنتان: اللغة والكتابة، ولنسنا نحتاج إلى واقر بيان لنبرهن على كون اللغة صورة من صور الحضارة، فإن أحدنا لا يستطيع أن يتصور أية من الحضارات التاريخية المعروفة كالهندية أو اليونانية أو العربية أو الفرنسية بدون أن يتصور بها اللغة أو اللغات التي عبرت عنها، واللغة تعبر عن الحضارة من وجهتين رئيستين: المفردات والترابك، فالفردات تدل على مدى سعة خبرات المجتمع وعمقها، وبالتالي على نوع الحضارة التي يتميز بها. ففيما نكون الخبرات محدودة، بحكم غياب الطبيعة الجغرافية أو التخلف الاقتصادي أو العلمي أو سواء، تأتي مفردات اللغة محدودة المعاني ضيقة الدلالة. والحضارة العميقة بالأشياء المحسوسة تكون لغتها فقيرة بالآلفاظ المعبرة عن الشؤون الفكرية والروحية\(^2\).

ومن هذا يتبنى أن ما عانه غالبية من استخدموا كلمة الحضارة كان مزيجاً من الصفات الروحية والخلفية التي تحقق على الأقل بصورة جزئية في حياة الكائنات البشرية في المجتمع، وكان من تلك الصفات الأدب واللباقة والنزاهة والوقفة والاعتدال وضبط النفس عند الكلام وفي السلك وفي الفكر أيضاً.

\(^1\) جون نيف: الأسس الثقافية للحضارة الصناعية ترجمة د. محمود زائد دار الثقافة بيروت 1972 ص 128.

\(^2\) فضفتين زريق: في معركة الحضارة، دار العلم للملاليين بيروت 1974 ص 97.
إن الكتابة تعتبر أساساً من أسس التحضير وشرطياً من شروطه، وأنها تتخذ دليلاً مـ
الأداة على انتقال المجتمع من مرحلة ما قبل التأريخ البديائية إلى مراحل التأريخ الحضارية.
ولا عجب في هذا، فالكتابة تصل بين أفراد المجتمع، وتربط المجتمع بسواه من المجتمعات
وتسهل التبادل والتعامل، وتسمح بإقامة حكم وإدارة منتظمين. بل إن لها آثاراً أـجلـاً مـن
ذلك: إنها تيسر سبيل انضباط الفكر وتفتحه ونموه، وتحفظ التراث وتتيح انتقاله من جيل إلى
جيل وترکمه عبر الأجيال. ومن هنا كان فضل الشعوب السامية في تبكرهم إلى ابتداء
الأسلوب الكتابي، والفضل الضخم الخاص الذي كان للفينيقين في ابتداء الحـرف وـ في
نشره في العالم القديم، وفضل الآراميين في حمله إلى أقصى الشرق، ذلك أنه مهما تكـن
الكلمة أو الفكرة مهمة، فإنها لا تتجسد، وبالتالي لا تكتسب، إلا بالحرف، وبهذاه تظل مائحة
غامضة رجاعة، ولكل حضارة نوع حروفها وأسلوب كتابتها.
والنزعتات الاجتماعية التي تضمن المشاركة الوجدانية والاستهواء والتقليد، تتخـذ مع
الإنسان صورة أرقي وأسي من مجرد غريبة يشركه فيها بعض الأـنماط الراقية من
الحياة، ويحقق ذلك عن طريق اللغة التي يتميز بها النوع الإنساني، فلا يكون الانـسجام
بين أفراد الجماعة تاماً وشاملًا إلا عن هذا الطريق. فالامة الوجدانية التي يحس بها الموهـ
العارف باللغة السريانية أو العربية، أرقي وأسمى من تلك التي قد تكون لدى من يجهل هذه
اللغة أو تلك. وإغـعـاب المرء بأئراء غيره يصبحه عادة تعبيرات ساحرة أخصأذا تصدـر مـن
صاحب هذه الآراء.
إذ إن اللغة أساس مهم للحياة الاجتماعية أو ضرورة من آهم ضروراتها، لأنها أساس
لوجود التواصل في هذه الحياة وأساس لتتوطيد سبل التعايش فيها، فهي وسيلة الإنسان
للتعبير عن حاجاته ورغباته وأحاسيسه ومواقفه، وطريقة إلى تصريح شؤون عـيشـه
وإرضاء غريبة الاجتماع له(1)، ومهما بلغ ما يحصله الإنسان من مظاهر حضارية، من
علوم ومعرفة وطرق ووسائل ماديه، فإنه يشعر في قرارته نفسه بأنه يعتمد اعتماداً كليـاً
على ما لديه من قدرة لغوية لتحقيق مآربه(2).

إذا كانت اللغة المكتوبة هي التي تحفظ للأجيال المتعاقبة النـراث الفكري للأمة
والإنسانية، وإذا كانت بذلك هي وعاء حضاريًا للمضامين الحساسة والفنية والفكرية والعلمية

---

(1) د. أحمد محمد معتوق: الحسية اللغةية: أبعادها مصدرها وسائل تبنيها، مجلة علم المعرفة الكويتية رقم 12، ص 34ـ.
(2) روي س. همان: اللغة والحياة والطبعة البشرية ترجمة د. داوود حلمي أحمد سيد جامعة الكويت، الكويت 1989، ص 15ـ.
للتراث الحضاري للأمة ماضياً ومستقبلًا، فإن اللغة هي التي تحدد مستوى رقعة الفعل المادي وبالتالي هي مقياس رقي المجتمع ونهضته وأن الحديث والكتابة باللغة السريانية يعني التفكير من قاعدة الفكر السوري.

سامية... آرامية... سريانية

لا يذكر أن الشعب السوري عامة كان شعباً واحداً هو (الشعب السرياني)، وقد اختلط به من العناصر المختلفة مدى الفتوحات والأجيال مالا يحسب عده، إلا أنها جميعاً كانت تتصهر في بوتقة المتاجبة لا تفتك شيئاً من وحدتها الوثيقة، إما تزويده تسامكاً ومناعة وغني. ولكن تلك الأمة السريانية العظيمة، وإن أسس الفتوحات لغتها القديمة النبيلة، فانقلب عند أكثر أبنائها إلى لهجات سريانية مختلفة، وأن قضمت السياسة الفاشية أجزاء مهمة من أطرافها فأضعفها، هي هي إلى اليوم حية في اسمها (سوريا) رغم تحريف الأعاجم لـه، حياة في علومها التي كانت قبل أن توجد علوم في اليونان تلمذتها، حياة في حضارتها التي لم تعت أن تتبني حضارة من قارات أغنتها، حياة في اختراعاتها واكتشافاتها التي انتشرت قبل أن توجد اختراعات في مصر جزرتها وحليفتها فيما بعد، حياة في لغتها السريانية — واللغة عقل الأمة — التي لا تزال تستعمل في معطياتها اليومية المستدامة وتؤثر على عقلتنا وتفكرنا وتوجهنا.

ويمكن القول إن معظم لغات هذه المنطقة هي من أصل سامي، وكما يصنفها علماء اللغويّة: العربيّة، الآرامية، السامرية، والمؤابية، الفينيقية، السريانية، البابلية، الكلتانية، العربيّة، الحبشية.

وأول من أطلق على هذا الجنس اسم اللغات السامية هو المستشرق الألماني شلمنزر عام 1780، وهذه العائلة لا تعرف أمها على وجه الضبط والتحديد، وأقدم أفرادها هم: الآرامية، البابلية، الكلتانية، العربية، فهي لغات موغلة في القدم والجدل حول أيها أصل أو أم لهذه اللغات يشبه الجدل: البيض من الدجاج أم الدجاجة من البيضة، مادام يجوزنا الدليل المادي لإثبات تلك الأولوية.

وقد أثير الجدل بين أركان الآرامية والإثورية، فوفق داوود بري أن مهد العلماء الأقرونجيين أنهم يميزون بين اللغات الآرامية وبين اللغة السريانية كأن اللغة الآرامية هي
الجنس واللغة السريانية، أي اللغة التي سميتها الكتابية هي نوع منه. ولكن هذا التمييز لا أصل له، لأنه كما هو مشروعا في المتن كل آمة من الأمم التي يسمى العلماء المذكورون آرامية تسمى نفسها حتى اليوم سريانية (ط-components:10:22) بـ إن اقتضى أن نجعل ارتنا بين الأسمين طبقا لحال الأمر وجب أن نقول إن اسم السريان هو اسم من اسم الأرمن لأن جميع الأمم التي تتكلم بالسريانية تسمى نفسها سريانية من بلاد العجم إلى نواحي جبل لبنان، وأما اسم الأرمن فإنما يصح عند حصر الكلام للسريان الشرقيين لأنهم في الحقيقة ليسوا من بني آرام لكن من بني آثار أخاه.(1)

فيما يكتب الأب البيرو ابونا قائلا إن لقب (آرام) هو اسم جغرافي أطلق على المرتفعات (الأرض المرتفعة) الواقعة في الشمال الشرقي من سوريا، ثم خلعته الآشوريين على الجماعة التي وجدت في تلك المنطقة، ومن ثم عمت النسخة كل القبائل التي تنتمي إلى أصل واحد، وينتبه الآشوريون في الكتاب المقدس إلى آرام بن سام بن نوح (تكون 10:23-24) أو إلى أسرة ناحور (تكون 2:20-21). (2)

ويرى أسد الأشقر أن الآرامية كانت لغة القبائل التي انتشرت في الـهلال الخصيب، وأصبحت لغته لأكثر من ألف سنة بدءا من القرن السادس ق.م حتى مائتي سنة على الأقل بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع الذي أدخل معه العربية إلى المنطقة، وتنتمي الآرامية إلى أسرة اللغات السامية التي سادت الـهلال الخصيب والجزيرة العربية. في القرن الحادي عشر قبل الميلاد اقتبست الأبجدية الفينيقية، وبدأت نقوشها مذاك تظهرها مثيرة بالأكادية والكنعانية، وفي القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد أصبحت اللغة الرسمية للدولة وانتشرت كتاباتها في أصقاع الإمبراطورية وبلغت أقصائي آسيا الصغرى واليونان وأفغانستان.(3)

وفي عهد السلوقيين منذ القرن الرابع ق.م أصبحت اللغة السائدة في كل آسيا السامية أي في سوريا وما بين النهرين وبلاد الكرد والعراق وجزيرة العرب. وكان المسلمون يدرسونها لكثرها فوائدها، وقد كتب بها الأرمن مدة قبل انتشار الأرمنية وحروفها، وقد بلغ

(1) المطران يوسف داوود: اللسانة الشهية في نحو اللغة السريانية جزءان طبع في دير الآباء الدومنكيين — الموصل الجزء الأول ص.8 مرجع سابق.
(2) الأب البيرو ابونا: أدب اللغة الآرامية مطبعة ستاركو — بروت 1970 ص2-12.
(3) أسد الأشقر: تاريخ سوريا المجلد الأول الطبعة الأولى بروت 1978 ص.287-284 مرجع سابق.
امتداد هذه اللغة إلى أقصى الشرق في الصين شمالاً وفي الأقمار الهندية جنوباً، فلا نظن أن لغة أخرى حتى ولا اليونانية جابت الآرامية في اتساعها إلا الإنجليز في عصرنا(1).

وتعود إلى يوسف داوود وهو أشهر من أرخ للغة السريانية حيث يقول: حسب الأمة السريانية شرفاً أنها هي منسوبة إلى آرام الذي هو ابن سام بن نوح لحا، وأنه منها خرجت الأمة العبرانية نفسها. فإنه من المعلوم أن الأمة العبرانية التي اشتهرت بتوارث الكتاب المقدس تولد من إبراهيم الخليل. وحال أن إبراهيم كان سريانياً أي آرامياً مولداً ووطناً بشهادة الكتاب المقدس نفسه (طالع سفر التكوين 11 و12: 1 و12: 1). (2) في صغر يهوديث (3) أن الأمة العبرانية هي من جنس الكلدانيين، والمعلوم أن اسم الكلدانيين يشمل جميع الآراميين الشرقيين. وإذا صعدنا أيضاً إلى أعلى من ذلك، رأينا أن عابر الذي تسبب إليه العبرانيون هو بعيد عن نوح بأربعة أجيال. وأما آرام أبو السريان فهو بعيد عن نوح بجلبين فقط. وإذا اعتبرنا الجيل الثاني الذي فيه نشأ الجنس السرياني وهو آشور أو أشور الذي هو على الخصوص أبو السريان الشرقيين الذين يقال لهم الآشوريون والبابليون والكلدان نراه هو أيضاً ابناً لسام لحا، فإذا من بين جميع الأمم السامية المعروفة يحق للسريان أن يفتخروا بأنهم بحومن العنصر السامي بوجه خاص أنهم ما يكونون(4). حتى أن اسم الآرامي كان شائعاً عند السريان، فالسمايونيون الأولون جعلوا كتابة عـن الوثني أو الصابئي أي الذي لم يكن يهودياً.

وما ذكرناه هو الاختلاف والتضارب بين المؤرخين في مسألة معينـة وهي: هل الآرامية تسحب على السريانية أم الآشورية، وفي ذلك أصبح النسب يعود لأهواء صاحبه. على أن السريانية هي امتداد للآرامية وهو ما يؤكده معظم المؤرخين الذين لوعدناهم لـسـت له صفحات الكتاب.

**تشعبات الآرامية**

تبقى الآرامية في الفيصل في تنازع الكثير من الأحداث والأواد التاريخية في المنطقة السورية، لهذا علينا معرفة جوهر الآرامية وتشعباتها، فهذه اللفظة تشمل مجموعة لغوية غنية ومعقدة تتفرع إلى لهجات سامية نُطقت بها القبائل الآرامية المنتشرة في مختلف أنحاء.

---

(1) الأب هنري لامانوس البسيعي: مجلة الشرق - بروت 1903 ص 190-

(2) المطران يوسف داوود: اللمعة الشهية... مرجع سابع ص 12.
الشرق الأوسط. وقد تعلم الآراميون من الكتّانيين فن الكتابة الأبجدية وحاولوا استعمال اللغة الكتّانية في كتاباتهم، غير أنهم كشفوا عن ذواتهم باستعمالهم عبارة آرامية مثل مقطع (يو) و(بيث)، وسرعان ما تخلو عن اللغة الكتّانية وأخذوا في استعمال لغتهم الخاصة.

وتعود أقدم النصوص التي وصلتنا باللغة الآرامية إلى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، حيث وضوح اللغة الآرامية وتطورها من اللغة الكتّانية.

وليس هذا بالشيء الغريب، وذلك أن المجتمعات البشرية في تغير دائم، مثلكانت حضارية... ذلك أن هذا التغيير هو سبيل بقائها ونموها، فهي تتكيف به مع واقعها، وتلقي به حاجاتها، وترضي مطالبها في وجوه الحياة، فيما وراء الحياة، وهي بهذا كنت بلآمة ويكيفها، إبداعاً، أو تنبسها اقتباساً. على أن ذلك كنت لا يحدث بصورة رياضية فيها الجمع وفيها الطرح، ولكنه يكون في صورة كيميائية، بحيث ينشأ مركب معقد، بصورة متكاملة ذات خصائص جديدة قد يكون بعض العناصر فيها أشد تمثيلاً، وبعض الملامح أكثر ظهوراً، ولكنها كل منطقية، هو مجموعة القيم والنظم والغايات والوسائل التي يتحرك خلالها وعليها المجتمع، في نسيج متلاحم من العلاقات المختلفة، ابتداء من القيم العليا وأمثال السلوك والتفكير إلى منابض من الاستعمالات اليومية.

هذا التطور من اللغة الكتّانية إلى الآرامية التي حلت محلها هو الذي جرى لاحقاً للسريانية بدل الآرامية حتى أصبحت خليفتها أو وريثتها لا كونها فرعاً منها كمدا ذهب بعضهم خطأً، ذلك أن الفروقات هي في اللهجات وليس في اللغات. فللهجات اللغة السريانية الآرامية تنقرع إلى لهجتين نتيجة انتشارها في رقعة مترامية الأطراف من البلاد الشرقية الممتدة ما بين مملكة فارس والبحر الأبيض المتوسط، وقد عرفت هاتين اللهجتين بالغربية والشرقية وهي تعني:

الغربية هي لهجة سورية وفلسطين وما بين النهرين العليا وطور سيناء في مصر.

الشرقية وهي لهجة العراق وفارس.

وتما لهجة ثالثة تميزت عن هاتين اللهجتين وهي المعروفة بالفلسطينية، وهي اللهجه التي تكلم بها المسيح، وسآنود إلى هذه النقطة بعد قليل.

(1) د. محي الدين صابر ود. لويس كايل ملكي: البدو والبناءة - مفاهيم ومناهج – المكتبة المصرية -

بيروت 1986 ص 12 مرجع سابق.

49
إن تشبع اللهجات في اللغة السريرانية ليس أمرًا غريبًا، لأن ذلك هو شأن سائر اللغات التي يقطن أصحابها أماكن تفصل الواحد عن الآخر مسافات شاسعة، ولذا مثال على ذلك: اللغة العربية: صحيح اللهجة الفصحي هي الأساس ولكن اللهجة العالية خضعت لظروف وبيئات مختلفة خاصة في كل بلد منها، حتى ليعسر على العربي التونسي مثلاً أن يفهم أخاه العربي اليمني أو المغربي إلا بصعبات، فلكل بلد لهجهته الخاصة وتعابيره ومصطلحاته الخاصة لا يعرفها أبناء البلد الواحد. وهذا كان شأن اللغة الآرامية - السريرانية، التي تفرعت منها لهجات ولغات متعددة على مر الزمان، انقرض قسم منها وما زال القسم الآخر معروفاً ومحكياً حتى يومنا هذا.

من ذلك الآرامية القديمة وهي ترقى إلى الفترة ما بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد، حينما تخلى الآراميون عن اللغة الكنعانية وشرعوا يستعملون لهجهتهم المحلية، ثم أخذت هذه اللهجة في التطور والاستكمل.

أما الآرامية الرسمية فهي لهجة جديدة أتت بعد الأ الأولى وهي التي تداولت بها الوثائق الرسمية في مختلف المناطق الآشورية، ثم تبنتها الإمبراطورية الفارسية بدورها كلغة رسمية في الدوائر الحكومية، وبقيت تتحضر وأثارها ظاهرة لدى الأنباط والتراميين إلى العهد المسيحي، وتسمكت بها الجماعات الفلسطينية المناهضة لليونانية في تلك المرحلة. والآرامية الغربية هنا تخص جماعات آرامية تغلغلت نحو سورية وفلسطين وأخذت تتكلم لغتها بالإضافة إلى الكنعانية. وبعد سقوط السامرة (721م) انتشرت الآرامية فيها بوساطة الجاليات التي أهلها الأشوريون فيها، ولم ما عاد المسيحيون من بابل إلى فلسطين، كانت الآرامية وليس العبرية هي اللغة التي يفهمها الجميع. وبالرغم من سعة انتشار اليونانية كانت الآرامية لا تزال لغة الشعب إبان العهد الجديد، ولم تطردها إلا اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي.

هذه الآرامية الغربية كان لها أربع لهجات وهي:

الآرامية اليهودية الفلسطينية، وهي التي يقال لها السريانية؛ وبها تتكلم المسيح، وليس اللغة اليونانية. وهذه اللهجة كانت دارجة في أورشليم وسائر بلاد فلسطين، وسميت مـرة بالآرامية والسريانية وبعضهم سـماها الكلدانية (علماً أن الكلدانية كتسمية لطائفة

---

(1) الآب البير أبونا: أدب اللغة الآرامية مطبعة ستاركو - بيروت 1971 ص 27 مرجع سابق.
ظهرت عام 1440(1)، كما سميت هذه اللهجه في بعض الكتب عبرانية لأنها كانت لغة العبرانيين ويزيل هذا اللبس المطران يوسف داود قائلاً: إن كل الذين ألفوا الكتب في فلسطين في ذلك العصر وما يقرب إليه كتبوا باللغة السريانية التي تسببت كتبائهما بالخط البالي المربع بسميتها الإفرنج الكلدانية. من ذلك أسفار طويلة ويهوديث وابن سيراخ والترجمات الكثيرة، أي ترجمات العهد القديم عند اليهود باللغة الكلدانية المذكورة وجانب عظمى من كتب التلمود. وأما في اللغة العبرانية فقلما كتب علماء اليهود في ذلك العصر. وأما في اللغة اليونانية فلم يصنف أحد منهم شيئاً حتى أن يوسف الأشقر المؤرخ اليهودي المشهور نفسه الذي عاش في القرن الأول للمسيح وتواريخه محفوظة إلى اليوم في اللغة اليونانية يشهد في مفتتح كتاب الحروب اليهودية أنه كتب أول تواريخه في لغة جيله، أي السريانية، التي كانت في ذلك الزمان لغة اليهود وبعد ذلك نقلها إلى اللغة اليونانية لإفادة الغرباء. ثانياً: إن أسماء اليهوديين واليهوديات المذكورة في أسفار العهد الجديد إذا نحن عن الأسماء العبرانية التي اتخذت من باب التدين أو حب الجنس نحو يوسف ويعقوب وشاول ومتي ومرم وحنية فالديوية منها هي كلها سريانية نحو توما وبرتغاب وبرباتيا وبربانيا وبيانا ورماي وسالوميا وشفيرة وطبيثاً. وكذلك أسماء شبع اليهود الدينية كالكتقييين والصديقين، ومن المعروف لكل أحد أن الناس في كل مكان إنمسا تسمى بأسماء لغة أهلهم. وأما الأسماء اليونانية لأهل فلسطين الأصليين فهي قليلة في العهد الجديد مثل فيليس ونفوديس، وأقل منها اللاتينية نحو مرس وولوقا. ومن المحتمل أن هذه الأسماء الغربية نقلها كتب العهد الجديد اليونانيون من لغة العبرانيين إلى عبارة يونانية كما هي عادة القدماء(2).

الأرامية السامية وهي الأجدادية الغربية التي كتب بها الساميون آراميتهم وهي تطور محلي للخط الكلداني القديم.

الأرامية فلسطين المسيحية وهي اللهجتة التي استعملها المسيحيون الأولون في فلسطين وكذلك مسيحيو مصر الناطقين بالأرامية.

الأرامية الغربية الحديثة وهي اللهجتة المستعملة لدى ثلاث قرى تقع في الشمال الشرقي من دمشق وهي: معلولا وبخعا وجبعين(3) وتمثل سريانيتها 20% فقط بالنسبة

(1) المطران يوسف داود: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية مرجع سابق ص 21و27.
(2) المطران يوسف داود: اللمعة الشهية في نحو السريانية مرجع سابق ص 21و27.
للسريانية الأدبية(1)، بعد أن دخلت العربية إليها كثيراً وبلغة محلية، هذا على الأقل فيمن يمكن تقيمه.

أما الآرامية الشرقية فهي مجموعة لهجات انتشرت في منطقة دجلة والفرات وحتى جبال أرمينيا وكردستان، ويمكن تمييز أربع فئات منها(2).

الآرامية اليهودية البابلية وهي ظاهرة في التلمود اليهودي وفي وثائق ترقي إلى ما بين القرنين الثاني والسابع للميلاد.

الماندية: كتاب المانديون في العراق أدبهم الدينية بهذه الآرامية الشرقية، وقد طرأ عليها تغييرات ضخمة وتأثرت باللغة العربية.

السريانية: كانت مستعمرة كلمة أدبية قبل العهد المسيحي. وفي القرن الخامس عندما تأثرت اللغة العربية بعدها استناداً إلى اللغة السريانية، استفادت اللغة من ذلك فانعمة عريقة، إذ راحت كل فئة تعمل على صقلها وإغنه جفربتها وضيكتها لتنكر قادرة على التعبير عن حاجات الناس كلها، اللاهوتية والديانة، والسياسية والاجتماعية والفنية والهوية. وكان للانعزال الذي سببته هذه الجدالات أوه الغريب أيضًا في كلتا اللغة الشرقية والغربية في تطور اللغه فيما بعد، إذ أخذت الاختلافات اللسانية والكتابة تبرز واضحة منذ نهاية القرن السادس الميلادي. ولهذا انقسمت الآرامية من حيث النظيف والخط إلى: آرامية شرقية وآرامية غربية.

السريانية الحالية (السوادية) وهي اللغة المحكية لدى الجماعات المسيحية القاطنة في جبال كردستان والقرى المسيحية الواقعة في شمال العراق وعلى الضفاف الشرقية من بحيرة أرموية وجبال طور عدين.

وهكذا نرى أن اللغة الآرامية لا زالت موجودة من خلال إحدى لهجاتها وهي السريانية، التي تعود إلى لغات عدة شعوب سامية كالآكاديين، والبابليين، والآشوريين، والأراميين، وسواهم، ولكن كل شعب من هذه الشعوب عرفت لغته السريانية باسمه، كاللغة البابلية والأكدية والإشورية والآرامية.

ومعظم هذه اللغات انتشرت أو كانت، ولم بقي منها سوى معالم بسيطة لا تروي العقل، كاللغة البابلية التي دعاها في فلسطين والعبرية أو السريانية الفلسطينية والتي نسخت فيها مجموعة كبيرة من كتب اليهود، أشهرها الترجمات، وهي تتضمن أسفار العهد.

(1) المجلة البطريركية - دمشق السنة الأولى العدد الثالث 1962 ص 115 و119.
(2) الأب فاير ابيون: ألب لللغة الآرامية مرجع سابق ص 30 و31 و23. وما ورد ملخص جدا ورد في هذه الصفحات.
القيد من نقلة من العبرانية إلى السريانية، لأن اليهود كانوا قد فقدوا لغتهم لدى عودتهم من سبي بابل، وهكذا قال عن الآكادية. وما تفرع من هذه اللغات كاللهجة النبطية التي كانت لغة النبطيين الذين وجدوا أولئك في سيناء ثم سكنوا شرق الأردن ومنطقة المعروفة اليوم بحوران وأشهر مدنهم بصرى والبراءة، وكذلك اللهجة الماندية التي كانت لهجة قوم يدعون اليوم الصابئة ويقطنون نواحي البصرة في العراق ويعرفون بنصارى مار يوهنا، لكن ديانتهم وتربية مشابهة شبيه من اليهودية والمسيحية، (وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في ثلاث سور: ففي سورة البقرة (2:2) جاءت الآية القرآنية الآتية: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابيين من أمن الله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجورهم عند ربيهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)، وتتكون أبجدي الصابئة المندائية من 33 حرفًا وهي تبدأ من اليهود إلى اليهود). (1)

هذه اللغات الأخوات أنفصل بعضها عن بعض بقواعدها وألفاظه، وصارت لها حدود معروفة، ومنذ زمن بعيد، وبقي بينها تشابه كبير في الألفاظ وحتى في القواعد. فنجد الكلمة العربية وسريانية وعربية وسريانية وعربية مشتركة باللفظ نفسه ومعناه ذاته، وكلا هذه اللغات تكتب من اليهود إلى اليهود، من حيث الأساس، وأعيد القواعد العربية مثلاً، وهنالك قاعدة قراءة العدد والمغدد في حالة الأقراد والتركيب في نفسها المتبعة بلا أقل تغيير في العربية والسريانية.

ومهما اختلفت كتابة هذه اللغات أو تشابهت، فإنها تبقى على كل حال هي اللغة التي دونت دينان القوم وصلواتهم وضياعهم وآدابهم وحضايرهم وحروفهم وعمرانيتهم ومظاهر حياتهم الأخرى، وامتزجت هذه الأفكار بالوراثة أو الترجمة، وتشابهت فأورست الأجيال مزيجاً لغوياً، وترسبت من كل منها في لغتنا اليومية، واستعملت حتى نسي أصلها وصارت تتنس أحياناً إلى الترك أو الفرس دون معرفة الحقيقة.

هذه الروايتين عبثاً نحو إرجاعها قصراً إلى لغة واحدة من هذه اللغات. ولا يدل عملنا القسري هذا إلا على جهل وبصخب لا تزيد اللغة العربية شرفًا، بل يكبدها شرفًا أنها ألمع اللغات السامية، إذ كلها مبتكرة ومختصرة، وفيها القرآن الكريم، وأنا حبيبة متطورة موسوية، ثم هي لغة مئات الملايين من البشر. (2)

(1) صحيفة الشرق الأوسط − لندن العدد 7230 1998/12/18 ص 20.
آثار اللغة السريانية

تأتي أخيراً إلى القول إن اللغة السريانية لم تزال تسمع وتقرأ في الكنائس التالية: السريانية بشقيها الأرثوذكسي والكاثوليكى وعند الموارنة والآشوريين والكلدان، وهي لغة أدبية صميمية فصيحه. بيد أن هناك قرى ثلاثاً شمالي دمشق أهاليها معظمهم من المسلمين يتكلمون السريانية، وفي الشمال الشرقي من سوريا وفي مناطق من العراق هنالك قرى وتجمعات يتكلمون أهاليها السريانية بالإضافة إلى العربية.

واللغة السريانية الفصحى، كما نومنا، تستعمل في الطقوس الدينية ولها لهجتان: غربية وشرقية. الأولى هي اللغة الطقسية للكنائس السريانية حيث وجدت، وطائفة السريان الكاثوليك، والمارونية، أما الشرقية فهي اللغة الطقسية للكلدان والسلاطين، وكانت إلى مدة غير بعيدة اللغة الطقسية للملكين، أي الروم الأرثوذكس والكاثوليك، وهم السريان الذين اتبعوا مذهب الملك البيزنطي في القرن الخامس (وقد ظل السريان الملكيون يستعملون الطقس واللغة السريانية حتى القرن العاشر، حيث غيروا الطقس السرياني بالبيزنطي، ولكنهم ظلوا محافظين على اللغة السريانية، فترجمتهم لهم الطقوس اليونانية إليها، واستمر الأمر كذلك حتى القرن الثاني عشر حيث استغني الملكيون عن اللغة السريانية وأحلوا محلها اللغة العربية نظرأ إلى أن معظمهم لا يفهمون السريانية، ولا تزال هناك كتب طقسية سريانية عديدة لدى الملكيين).

نعود إلى اللغة السريانية الفصحى بشقيها حيث نرى أن الفرق بين اللهجتين هو لفظي بحت، أما أصولهما وقواعدهما فهي واحدة.

أما اللهجة العامية المندوبة في القرى الثلاث القريبة من دمشق فهي من بقايا اللغة السريانية الفلسطينية وكانت يوماً لغة بلاد الشام، ولنظامها مزيج من اللهجتين الشرقية والغربية، وهي ما زالت محافظة على عناصر كثيرة من اللغة الأرامية الأصلية رغم مشاربها من شوائب على مر الأيام، كما أن المتكلمين بها محافظون على الصيغة السريانية، فهم دائماً يعطون الكلمات التي يقتبسونها من العربية أو غيرها، مساحة سريانية.

(1) الأب صليبا شمرون: اللغة السريانية وأدابها وعلاقتها باللغة العربية المجلة البطريركية ـ دمشق حزيران 1919 السنة الرابعة العدد 38 ص 416.
وتعتبر اللغة السريانية في منطقة طورعدين وقيل لها السورانية وهي لغة عشائر القرى التي كانت متمدة بين ماردين وأرزآ فأصبحت الآن متمدة إلى القامشلي والحبسة بفعل هجرة السكان، هذا فضلاً عن الذين هاجروا إلى حلب ودمشق ولبنان وفلسطين الذين لا يزالون يتكلمونها، ولفظهم إلى اللغة العربية الفصحى أقرب، ولكن دخلت هذه اللغة كلمات وتعابير ومصطلحات عربية عن طريق العربية والتركية والكردية فسُوَّحت جمال هذه اللغة، حيث عُدت تمت 50% من فصاحة اللغة السريانية لغة الكنيسة.

وتبقى اللهجة الآشورية المتزامنة في بعض مناطق من شمال شرق سوريا وفي قرية من العراق وحتى إلى إيران وهي تخص أبناء طائفي النساطرة والكلدان، وقد دخلت إليها هي الأخرى كلمات أعمجية عربية وفارسية وتركية وكردية.

قوة اللغة السريانية

إن اللغة السريانية التي تكاد تنسي أو تنُدر عدت في عهد الإمبراطورية الرومانية أهم لغة بعد اللغة الإغريقية، كما أنها أهم اللغات الأرامية وأغزرها أبداً. ولم يأت هذا الصيت من فراق. فقد هبط السريان لغتهم ووضعوا لها المعامج والأسموال اللغوية والقواعد النحوية ووسوها حظى الأدب والبيان وزرعوا فيها الفصاحة والبلاغة نفياً ونظاماً، ومن أشهر آثمتهم في هذه العلوم يوسف الأهوازي ويعقوب الرهاوي وانطوان التكريتي صاحب كتاب علم الفصاحة المشهور والحسن ابن بهبول صاحب القاموس (1363) ويليا النصبيني ويوحنان ابن زوجي النحوي ويعقوب البرطلي صاحب كتاب الديانوغ (أسئلة وأجوبة) وابن العبري صاحب كتاب (اللمع) النفيس وعبد يشوع الصبواوي مؤلف ديوان فردوس عدن.

على أن النحاة السريان لم ينظر أحد منهم إلى قواعد اللغة السريانية، ولم يبحث عنها كما تقضي طبيعة هذه اللغة، إذ أنهم غالبا اقتدوا بنحاة اللغة اليونانية التي منهجها مختلف اختلافاً عظيماً عن منهج اللغة السريانية. فلا نرى أحداً منهم بحث عن أسس الفصام والأفعال ولا عن الفرق بين الأفعال الثلاثية أو الرباعية وبين المزيد فيها، ولا أحد نظر إلى

(1) سمير عبده: السرياني قديماً وحديثاً مرجع سابق ص 79.
أحوال اللغة السريانية بالمقارنة إلى اللغات السامية أخواتها ولا سيما العربية. وفي ذلك فلق الناحية اليهود على السريان حيث بنوا كل قواعد نحو اللغة العبرانية على القواعد التي وضعتها الناحية العربية والتي تناسب طبع اللغات السامية مناسبة ثابتة (وفي ذلك فضل عظيم للنحاة العرب(1)، وقابلو أكثر قواعد اللغة العبرانية بقواعد اللغة العربية، وهكذا وقفا على حقيقتها وعاملوها حق المعاملة. نعم إن ابن العبري اقتدى في كتابه النحوية بنحاة العرب لكن في أبواب من النحو فقط كالمبارد والخبر والتوكيف والبدل والعطف وهي أبواب يمكن الاستغناء عنها. وكان حقه أن يقتدي بنحاة العرب في أبواب التصريف الذي منه يعرف كنه ببناء الكلمات السريانية على قواعد اللغة العربية وهو أهم ما تشتمل عليه هذه الصناعة.

واللغة السريانية غنية بثرائها الأدبي، كافية للتعبير عن جميع الأغراض والمقاصد، وتصوير كل ما يخالج النفس من خواطر، كما أنها تفي بجميع الأغراض الأدبية والعلمية، وتحيط بصنوف العلوم والمعارف القديمة، الفلسفة منها والطبية والفلكلورية والرياضية وما إليها.

تألف الأبجدية السريانية من 22 حرفًا، يزدوج لفظ ستة منها، ويعرف باللفظ (اللين والقاسي)، مثل ذلك حرف الباء فهو يلفظ بألفة وفاء (الأفنجية)، والدال ذالًا وناء ثاء والكاف خاء إلى آخره.

جدول يوضح طريقة التعامل بالقيمة، العددية للأبجدية السريانية

<table>
<thead>
<tr>
<th>الحرف السرياني</th>
<th>الحرف العبري</th>
<th>الحرف الأول</th>
<th>الحرف الثاني</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أي</td>
<td>يتم</td>
<td>T</td>
<td>m</td>
</tr>
<tr>
<td>أيم</td>
<td>يتم</td>
<td>N</td>
<td>s</td>
</tr>
<tr>
<td>بيم</td>
<td>يتم</td>
<td>ج</td>
<td>ث</td>
</tr>
<tr>
<td>ديم</td>
<td>يتم</td>
<td>ج</td>
<td>ث</td>
</tr>
<tr>
<td>سيم</td>
<td>يتم</td>
<td>ج</td>
<td>ث</td>
</tr>
<tr>
<td>زيم</td>
<td>يتم</td>
<td>ت</td>
<td>ج</td>
</tr>
<tr>
<td>ضم</td>
<td>يتم</td>
<td>ز</td>
<td>ج</td>
</tr>
<tr>
<td>هيم</td>
<td>يتم</td>
<td>ح</td>
<td>ث</td>
</tr>
<tr>
<td>ويم</td>
<td>يتم</td>
<td>ح</td>
<td>ث</td>
</tr>
<tr>
<td>ين</td>
<td>يتم</td>
<td>ث</td>
<td>ذ</td>
</tr>
<tr>
<td>تين</td>
<td>يتم</td>
<td>ث</td>
<td>ذ</td>
</tr>
<tr>
<td>زين</td>
<td>يتم</td>
<td>ث</td>
<td>ذ</td>
</tr>
<tr>
<td>ضين</td>
<td>يتم</td>
<td>ث</td>
<td>ذ</td>
</tr>
<tr>
<td>هين</td>
<td>يتم</td>
<td>ح</td>
<td>ث</td>
</tr>
<tr>
<td>وين</td>
<td>يتم</td>
<td>ح</td>
<td>ث</td>
</tr>
</tbody>
</table>

وبقول آخر إزدوج لفظ ستة منها وهي: الباء، الجيم (المصرية)، الدال، الكاف، الباء، المعناته، والدال، والظهير من (الفرنجية)، العين، الذال، الخاء، الغاء، الناء، ويتميز بمنطقة صغيرة ترسم تحت الحرف، ويعرف الأول باصطلاح اللغويين السريانيين (القاسي) والثاني بـ (اللين(2)).

(1) المطران يوسف داوود: اللغة الشهية في نحو اللغة السريانية مرجع سابق ص 206
(2) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية مطبعة ألف باه - دمشق 1919 ص 14.
كما أن من هوية اللغة السريانية بدء الكلمة السريانية بالتسين، وتيسين نون الوقابية الفصلة بين الفعل والضمير، وحرف المضارع للمفرد المذكر الغائب في السريانية الحالية هو نون وفي هذا يتساوي والجمع المتكلم (نأكل) بدل (ياكل) كما هو الشأن في اللغة العربية ياء، وأن نون النسبة المختلفة باللغة السريانية، والدخيلة في العربية، لـه ثبتيها السرياني في اسمه هذا، فقالوا: سوريانا، باللائي، ولم يقولوا (سريانا) بالنون. ومن المعول أن النون في قول العرب (روحاني، رهاني، نصراني، ربانى..إلخ)، شاذة عن قواعد الصرف العربية، وهي متقلوبة عن السريانية لا شك في ذلك على وجه التأكيد.

واللسان السرياني على وجه العموم له خواص يختص بها وتم جمع فروعه ولغاته وتميزه عن سائر الألسن السامية أخواته. فمن ذلك أن اللسان السرياني ليس له آدة تعريف للأسماء. ثانياً إن له آدة خصوصية إضافة الجذب إلى اسم آخر وهي الدال تدخل على المضاف إليه. ثالثاً إن ميم الجمع تقلب فيه إلى نون.رابعاً إن المثنى لم يبق منه أثر في اللسان السرياني إلا مالا يحتفل به، خاصاً إن الحركة التي لا يعقبها مد أو حرف مشدود أو حرف ساكن تسبق الداوم في اللفظ من اللسان السرياني إلا إذا أوقف إيقاؤها صعوبة اللفظ.

سادسًا إن بعض من الحروف الهجائية التي في اللغة السامية الأصلية تبدل في السريانية من حروف أخرى، وأشهر ذلك الذال والضاد والظاء، فإن الذال تبدل من الدال والذاء من الناء والضاد من العين والظاء من الطاء. سابعًا إن الاسم المفرد وجمع المؤنث السالم إذا لم يلحق بها شيء يطلق أخرها بالألف. ثامنًا إن النون في بعض الأسماء الأولية تقلب إلى راء، تاسعًا إن في اللسان السرياني صيغة فعلية لا توجد إلا فيه وقد ضاعت من سائر الألسن السامية حتى العربية وهي صيغة سقعل أو شقعل.

سريان السريانية

كتب علماء السريان السريون في كل فن من فنون العلم، فقد كانت لغتهم علمية ودينية تترجم إليها الكثير من الكتب في العلوم المختلفة من الإغريقية واللاتينية والفارسية، وقد كان السريانون من أهل أول من اشتهروا بالرياضيات والفلك وعلم الهيكلة، كما لهم الفضل السابق باستعراضهم إلى السريانية مصنفات اليونانيين القديمة التي كثير منها فقد في أصله اليوناني وحفظ في الترجمة السريانية. ولما أقبل العرب على العلم في بلادهم.

(1) المطران يوسف داود: اللعمة الشهية في نحو اللغة السريانية مرجع سابق ص.15.
الخليفة العباسية، جند المأمون علماء السريان الذين أعانوه على ذلك واستخرجوا منهم الكتب اليونانية والسريانية من اللغة اليونانية واللغة السريانية إلى العربية، وهم الذين صاروا لهم أول المعلمين. وأحسب أن هذه العملية ما كان يقوى عليها غير خليفة، لأن السريانية كانت قد احتركت العلوم وأحاطتها بشيء من قدسية الدين والكتاب، حيث حافظت على كيانها وأهميتها قروناً طويلة، حتى حولها المأمون بالمال والسultan إلى كومة أوراق قديمة محتسبة في الأديرة والكنائس والمتاحف، وبدأت تضعف ويزلل سلطاتها وينحسر، ويمتد سلطان اللغة العربية ويشتد فوزها صدرها اليونانية والسريانية ونقلت للعالم بعذنة تراثاًً لولاها لقضي عليه بالموت، وهو الذي أوصل عبر الحضارة العربية في الأندلس إلى ما وصلت إليه الحضارة العالمية الراهنة.

وتاريخ السريانية عريق في القدم، فأول الممالك في الدنيا قامت لدى السريان، أي في بابل ونينوى، وأن السريانيين الشرقيين ولاساماً أهل بابل هم أول الأمم الذين اشتهروا بالعلوم وعلى الخصوص علم الهيئة، أي علم الأفلاك، والعلوم الرياضية، واستنبطوا صناعة الكتابة النفيضة، وأن باقي الأمم تعلموا منهم ولا سيما اليونانيين، كما يكفيهم فخراً أن المسيح تكلم بلغتهم.
السريانية - العربية: الجذور والاختلاف

ما من علاقة قامت بين شعبين وحضارتين كما جرى بين السريان والعرب اللذين
ينتميان إلى أصل واحد، وجدذر عريق في القدم انتشرت عنه الحضارات الشرقية ألا وهو
السامية، والعلاقة بين السريان والعرب علاقة زواج أبدية لا تفصل عراؤها في كل جوانبها،
وليس في كل ما تقوله أي غضاضة، كما تداخل بين لغتي الاثنين مع بعضهما البعض
وإحلال لغة مكان أخرى، فذلك كان دائما مجرى التاريخ.

وانتستع العلاقات بين السريان والعرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الملقب
(فاروق)، التي تعني بالسريانية مقدى أو محور، وقد أطلقتها السريان على الخليفة لأنه أتقذهم
من ظلم الروم البيزنطيين، وما كان للفتح العربي لبلاد السريان أن يتم بالسرعة والسهولة
المعروفة، لولا مؤازرة سكان البلاد الأصليين (السريان)، وقد أخذت العلاقات تتشدد
وتقوى، حتى بلغت أوجها في عهد الخلفاء العباسيين، كما هو معلوم للجميع.

وفي ذلك يقّول مصطفى
الشهابي: (السريان علاقات وثيقة
مع العرب وأوامر أخري عراهما
كر الأيام وتقلب الحكم وتشتيت
الجهل، ولكن دون ان تقسمها.
فمن السريان الأقدمين علماء أعلام
مستعربون أتقنا اللغة العربية
وألفوا فيها وترجحوا تخصص
ذاع صيتها واستفاصلت شهرتها,
كما أن ممن العرب عددا دان
بذهب السريان قبل الإسلام
خاصية، وانلبت بايفراد هذه المثل حتى عد منهم، واللغة العربية في أيامنا هذه تحتاج إلى من
يتقن العربية والسريانية، ويكشف لنا عما أبقته الأيام من أثار السريان المجيدة وعا خدموا
به اللغة العربية في مختلف العصور الإسلامية).

(*) مصطفى الشهابي: مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق مجلد 12 سنة 1932 ص23.
وقد كانت لغة الإغريقية في سورية الطبيعية أيام عز في زمن الإسكندر المقدوني وخلفائه من السلوقيين والبطالسة خصوصاً، وكانت لغة الجاليات الإغريقية المنتمية في أرجاء الشرق الأوسط، وصارت لغة العلم الذي رعاها الملوك، وأسهم فيها كثير من أبناء البلاد الأصليين. ثم تضاءلت مكانة الإغريقية، وحتى العلوم المدونة فيها، وكثر الاهتمام بالتدوين باللغات المحلية، ومنها الأرامية ووريثتها السريانية، ولم يبقِ تقليصًا تقدير الرومان لها، وهم الذين ورثوا السياحة على حوض البحر المتوسط منذ القرن الأول الميلادي. وأصبحت مراكز العلم المدون بالإغريقية محدودة في العالم الإسلامي وفي مناطق محدودة، أبرزها الإسكندرية وأنطاكيا، وكانت مراكزها المنتشرة في بلاد الدولة البيزنطية. فلا غرابة أن نجد العرب عندما اهتموا بنقل علوم الإغريق ورسلون المبعوثين إلى الدولة البيزنطية للحصول على كتب الإغريق، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك لو كانت هذه الكتب متوفرة في بلاد الدولة الإسلامية.

وقد ضمت دولة الإسلام عند تكوينها لغات متعددة، تنقل أكثرها شفأً، ودون بعضها بكتابات متعددة، في أقاليم المشتركة، وذكر ابن المقفع أن فيها من لغات (الفلهوية)، ويتكلم بها أهل أصفهان والري وهمدان ونهواند وأذربرجان، والدرية لغة أهل المدائن والبلط السلاني، وأندل خراسان وبلخ، والفارسية لغة أهل فارس، والخوزية لغة بعض أهل الأحواز، والسريانية لغة أكثر أهل الشرق.

والأمثلة التي يمكن إيرادها عن مدى عراق السريان وخدمتهم للعرب والعربية كثيرة وكبيرة. لذا البعض منها، فقد ذكر ابن جلجل أن هارون الرشيد قد يحجنا بـ «ناموسه»، وهو سرياني مسيحي، ترجمة الكتب القديمة مما وجد في أنقرة وعمورة وسائر الروم التي

(1) مجموعة من المؤلفين: إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت 1997 ص 16.
(2) أبو الفرج محمد بن أسحق بن الندم: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم مطبعة الاستقامة – القاهرة ص 15.
سيطر عليها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة، ووضع له كتاباً خداماً كتبون، وقد خدم هارون والأمين والمأمون وعاش إلى زمن المتوكل (1).

ويذهب فيليب حتى إلى أن (السريان الفضل في يقظة العرب عامة ونهضتهم الفكرية في بغداد زمن العباسيين ما لم يكن مثله لأمة واحدة سواء، تلك النهضة التي غدت ولا تزال مفخرة العصر الإسلامي القديم) (2).

وفي مجال الفكر، استلقي بعض فلاسفة العرب لابن سينا الحكمة والمعرفة عل أصول يونانية عن طريق السرياني. وقال الكردي في إحدى رسائله (نقاً عن رسائل الكردي الفلسفية ص 101): (كان السريان لنا سبيلًا وأطلات موجهة إلى علم كثير، فإنهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا هذه الأواءل الحقيقية)، وقول على مصطفى الفارابي (نقاً عن تأريخ الفرق الإسلامية ونشأة علوم الكلام عند المسلمين ص 139): (هذا يمكننا أن نقول إن السريان هم الذين علموا المسلمين الفلسفة أولاً، وهم الذين ترجموها لهم ثانياً، ولهذا تم تأثر المسلمين بالفلسفة التي كان يعرفها هؤلاء السريان) (3).

ويقول الجاحظ: (كان الأطباء السريان كالمحترمين للطب في صدر الدولة العباسية، وربما قبلها، فما عظمتهم في قلوب العوام، وحبتهم إلى الطغام أن منهم كتاب السلاطين، وفراعش الملك، وأطباء الأشراف والعمال والصابرين) وأروي قصة فشل طبيب مسلم في حزفته وأنه لو كان نصراً لم ينال هذا الفشل (4).

(1) أورد ذلك أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل في كتابه: طبقات الأطباء والحكمة ص 25. عن:

مجموعة من المؤلفين: إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب مرجع سابق ص 23.

(2) د. فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة د. جوهر حداد، و. عبد الكريم رافق دار الثقافة - بيروت 1958 ص 79 الجزء الأول مرجع سابق.

(3) الأب جوزيف ترازي: تاريخ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، صحفية بيروت تايمز - لوس أنجلوس 12-19 نيسان 1940 ص 23.

المادة: تأخذ من بعضها

أخذت العربية الكثير من الألفاظ السريانية حتى أصبحت المعامج العربية مشحونة بهذه الألفاظ، ويعود ذلك إلى أن العرب في الجاهلية والقرن الأول للإسلام، خالطوا المسيحيين من عرب وسريان، في بلاد اليمن ونجد والحجاز ثم في بلاد الشام، الفسحة التي كانت تمتد من جد عربش، مصر حتى جبال طوروس ونهر الفرات، ثم في بلاد الجزيرة أتباع بنو ربيعية، والعراقين العربي والعجمي ثم بلاد فارس وخراسان، وعنهم أخذوا في عنوان الأدوار الألفاظ الخاصة بين التهارية وضموها إلى لغتهم، ومنها سريانية بحتة ومنها يونانية، غير أنهم بوساطة السريان، وبسبب لفظهم نقلوها أكثر ما نقلوها منهما، ثم أدخلوها في كتب اللغة والمعامج عند تدوينها كما أدخلوا بعض الألفاظ اليونانية ونسزاً من الحبشية والعربية. ثم استعراو الكلمات التي لا عهد لهم بها، مما يتعلق بالزراعة والصناعة والتجارة والعلوم وما إليها. وحينما عاشروا الفرس أخذوا عنهم ما أخذوا مما هو معروف، ولكن ظهور أثمة لغويين من الفرس الذين دافو بالعربية، وحذقوا لسان العرب وأسدوا إليه بصنائفهم أيادي بيضاً مشهورة خالدة على الدهر. دعا إلى العنيدة بجمع كثير من الكلمات الفارسية التي عربوها.

ومن نافل القول، لا تخلو لغة مما كانت غنية من كلمات أجنبية، ويعق هذا الاقتباس من مجاورة الشعوب بعضها لبعض ومناخاتها ومهاجراتها وأذى الدين والعلوم وال산업 بعضها على بعض، وخاصة من استيلاء قوم على قوم وإضحاهم لسلطانهم. وقد وقعت هذه العوامل كلها للعرب، فلا بدع إذا دخلت غلتهم، على سمعتها،

البيطرك مار أنطونيوس أفرام الأول برصوم: الألفاظ السريانية في المعامج العربية - نشر المجمع العلمي العربي - دمشق 1931 ص.3.
كلمات أعجمية، والعكس بالعكس. فليست البلاد العربية منعزلة عن بقيّة الأقطار، حيث تجاوزها الآراميين والعبرانيين واليهود والفرس واليونان والرومان والقسطنطينيين وغيرهم في قرون الزمان، ووقعت هجرات من بلادهم إليها وتعاطوا التجارة مع الأقطار وأخذوا أسماؤها كثيرة لسلطاتها وخصورها شعوبها غيرها، فكان من الناس للغة العربية أن تدخلها مفردات أعجمية من لغات الأقوام الذين أضروا من رعاياهم أو خالطواهم وكان طبيعيًا أن يدخلها ألقاف آرامية من العراق وسوريا، وفارسية من العراق وإيران، وهنديّة من الهند، وتركية، وتتارية من بلاد الترك والأنطار، وقبطية من مصر، وحبيشية من الحبشة، وبربرية من المغرب، ثم فرنسية وإنكليزية وإيطالية وإسبانية وغير ذلك في الأزمنة المتأخرة.

إن اتخاذ الأقوام التي دخلت في حوزة العرب اللغة العربية لغة لهم وامتزاج العرب بهم والعملاء الأخرى أدت إلى حصول لهجات عربية مختلفة في الأقطار العربية. وكان حتى على اللغويين أن يميزوا بين العربي الصحيح والأعجمي، وهكذا فعلوا. بيد أنهم وجدوا ألقافًا أعجمية، قد تغلبت في العربية وتكلم بها العرب ودخلت في أشعار شعرائهم وكتب أدبهم لفم يمكّنهم نبضها فتأدخوها معجماتهم وجعلوها جزءًا من العربية ووسموها بالعربية، كما وسموا بالمولد والدخيلة ألقافًا أخرى التقطوها من أسن العوام، ونابذوا سائر الألقاف الأعجمية الجارية على أسن هؤلاء لاستهجانهم إليها. أما العوام فحافظوا بهذه الألقاف المستهجة أو تزامن منها، فربما أسهموا في الدخور بعضها، ولكنهم ألقافًا جديدة أنتتهم من أقوم جديد آخرين، لذا قام طبقة من الأدباء في مختلف الأقطار والأقطار ونابذوا بكتب ألقافها إلى هذه الألقاف العامة وحثوا على تركها وبينما ما يقابلها من الألقاف الفصيحة وحثوا على استعمالها.1

ويمكن أن نورد عن تأثير اللغة التركية في عامة العربية ما ذكره حسين علي محفوظ.

في ذلك (عرف الناس اللسان التركي في زمن السلاجقين، وقد انتشرت التركية من بعد، أيام الفتح العثماني خاصة، وتسربت أنفاتها في العالمة إذ أوجبها الحاكمون، وفرضها الأمراء، وأظهرها الجند الأتراك على شيوخها لأنها كانت لغة الحكم والقضاء والتعليم والتدريس فذاعت تركيتها وفشا استعمالها وظلت الناس تلهم بها نحوًا من أربعة قرون، وما زالت آثارها موجودة في الآلاب والأساس والأسماء والتعبير).

وقد أحصى محفوظ حوالي خمسانة لفظة تركية في اللغة العالية العراقية، كما يمكن القول بأن ن الشرق ما لا يقل عن أربعمائة لفظة تركية في اللغات العربية الممتدة في شمال أفريقيا، وسوريا، واليمن ولبنان والأردن، وحوالي 1350 لفظة تركية لا تزال تستعمل حتى اليوم في لهجات بلاد الخليج العربي.

واللغة التركية التي أخذنا عنها، تطورت في مراحل مختلفة وكانت تتألف من ربعاً وكتبت من فوق إلى الأسفل ومن اليمين إلى اليسار.

وقد استعمل الأتراك هذه الأبدية من القرن السادس ق.م. وحتى القرن السادس الميلادي حيث حلت محلها الأبجدية الأورغوية المؤلفة من 14 حرفًا والمكتوبة بأسلوب الكتابة الأورخونية أيضاً، وهي مقتبسة من الأبجدية (السريانية — النسطورية) التي انتقلت إلى...

(1) حسين علي محفوظ: مجموعة الألفاظ التركية في اللغة العراقية مجلة التراث الشعبي — بغداد — السنة الأولى العدد السادس 1926 ص 31.
(2) إبراهيم الدافوري: التأثير المتباين بين اللغتين العربية والتركية في العهد العثماني، ورقة قدمت إلى: الحياة الاجتماعية في الولايات العربية في العهد العثماني جزءان (زغوان، تصوير 1988) الجزء الأول ص 32.
(3) كارل بروكلمان: الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها ترجمة نبيلة أمين فارس ومنير بطلبي — دار العلم للملائي — بيروت 1962 ص 777.
تأثير اللغة العربية باللغة العربية

اللغتان العربية والعربية، إلى جانب العديد من اللغات الأخرى التي انتشرت في الشرق الأوسط، مثل الأكادية والبابلية والكنعانية والأرامية وغيرها، تصنف ضمن عائلة اللغات السامية. ويعتبر ذلك نشأة هذه اللغات من أصل واحد أسماها العلماء اللغة السامية الأم، وهو افتراض منطقي لكنه لم يوثق بدليل ملموس حتى الآن. وتشابه اللغتان العربية والعربية في العديد من الأوجه، ونجد في اللغة العربية (لهجة قريش) وفي العربية

الكلاسيكية (عبرية التوراة) تشابها في معاني الكلمات، ليس أصح منه التشبيه في أهم كلمة من السطر الأول للعربية مع كلمة عربية. تكررها يومياً في النص. إنها نبرتة عربية: لآتي التوراة بالشكل الآتي (بريشيت بارا إيلوهي هاشاميم وهاهرس) وترجمتها (في البدء خلق الإله (في الأصل: الألفة بالجمع السوات و الأرض)) والفعل العربي بارا يخلق، وهو الفعل نفسه الذي مصدره العربي البغدادي.

ومن إزاحة اللغة العربية للعربية كلغة تطاب، بدأت المرحلة الثانية مع مراحل تطور اللغة العربية التي استمرت لغاية الفتح العربي الإسلامي، وتميزت بتأثير شديد للغة الأرامية، وتميزت بتأثير شديد للغة الأرامية – السريانية، إذ كانت الشروح لهذه اللغة التي أصبحت لغة التخطيط في الشرق الأوسط برنطاً وظهرت في هذه الفترة كتيب المشنوغ والتماوين التي تطور النصوص العربية للعهد القديم. ومنذ نشوء الدولة العربية وانتشار الإسلام، تطورت اللغة العربية اللغة السامية الأهم، من بين اللغات السامية الجهة آنذاك، والتي أزاحت الأرامية – السريانية من عرشها لتحل محلها، وتصبح اللغة التي تحدث بها شعوب المنطقة. وهذا بدأ تأثير العربية على العربية التي حافظ اليهود عليها في مهافليهم الدينية، واستمرت العربية كلمات وتعابير ومفاهيم وجمالاً وتراكيب كثيرة من اللغة العربية، إلى أن انحصرت اللغة العربية في شذرات هنا وهناك.

وفي بحث قدمه البروفسور أفيف شفيتلي إلى المؤتمر الخامس والثلاثين للدراسات الأسيوية والشمال أفريقية المنعقد في بودابست عام 1998 يذكر عدة وقائع عن تأثر العربية بالعربية منها:

- تحدث اليهود – العامة والمحترفين على السواء بالعربية في أرجاء الإمبراطورية كافية وألفوا بها أعمالهم، ولربما استعملوا الحروف العربية لكتابتها، وبرز موسى بن ميمون (ميمونيوس عند الأوربيين) من بين العلماء اليهود الذين ألفوا دراسات حول الدين اليهودي بالعربية وكتبوا بالحروف العربية، وسمى هذه اللغة باليهودية – العربية، وهي في أبعد تقدير لهجة من اللهجات العربية المحلية (العامة) مطعمة بكلمات عربية الأصليّ هنا وهناك.

يحيى البروفسور شفيتلي 700 تعبير عربي الأصل في العبرية الحديثة المستعملة اليوم في إسرائيل، وهو رقم متزايد يومًا بعد يوم.

النهاية
احتفلت العربية بكل الحروف والأصوات المميزة للغة السامية الأخر، ولا شك في وجود نتائج ونفوذ للغة العربية على اللغة العبرية الحديثة التي بدأت تحيا أو يعاد إحياءها من جديد من 100 عام تقريباً. ومنذ القرن الثاني الهجري (القرن الوسطى) أصبحت اللغة العربية اللغة المحكية المستخدمة لدى عامة اليهود الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي، ولم يستعملوا من العربية إلا القليل من الكلمات وبعض العبارات، واستعمل كبار العلماء اليهود اللغة العربية لكتابة أعمالهم في العصر الوسيط.(1)

على أن سيطرة اللغة العربية على الشرق الأوسط سبقتها سيطرة اللغة السريانية قبل الإسلام، واعترفتها اللغة السامية الآرامية السريانية لما يمتلكه عليه لغة التفاهم بين الشعوب، حيث استعملها اليهود للمخاطبة ولكتابة التلمود أحد أم الكتب الدينية. وكتب اليهود الذين عاشوا في بابل التلمود البابلي الذي هو من كتب التفسير والمشنآة وهو كتراك للعهد القديم، لكن باللغة الآرامية، وبعد الفتح العربي الإسلامي للمنطقة حلت العربية محل السريانية، لكن اليهود احتفظوا بالسريانية لأنها لغة التلمود ليس لها. ومن المعروف أن الآراميين سبوا مشاكل كثيرة لليهود الذين سكنوا فلسطين، وكانوا مسؤولين عن المنفى (السبي) اليهودي المشهور وطرد اليهود من مسكنهم في الشرق الأوسط إلى بابل، وبعد ذلك تبني اليهود اللغة الآرامية السريانية وهي اللغة التي استعملوها المسيح.

لقد كانت اللغة الآرامية منتشرة في كل البيعقة العظيمة من أرض آسيا التي كانت تحوي المملكة العثمانية الآسية بأسرها إلا بلاد العرب وأرمينية وأسيا الصغرى وفي جانب من مملكة الفرس، ولم تكن اللغة الآرامية في هذه البيعقة الكبيرة من الأرض على اللهجة ولغة واحدة بل كانت لغة تختلف باختلاف الأماكن. على أن اللهجة البابلية التي هي اللهجة بابل وأثر وما يجاورهما كان مشهوداً لها بالفصاحة دون سائر اللهجات أخواتها كما هو حال اللهجة المسماة الكتابية اليوم، وذلك يتضح أولًا من شهادة الكتاب المقدس حيث جاء في سفر (دانيال 1: 4)، أن فتيان اليهود في بابل لم يتعلموا اللغة الآرامية التي جلوها بعد ذلك إلى بلادهم من الشوارع والأزقى أي من الطعام والعام ولكن في المدارس بـ مدارس الملوك نفسها. واللهجة بابل الآرامية، كما هو معروف أيضاً، هي اللهجة التي استعملها اليهود إلى مئة سنة ماضية، وكل الأساطير أو العبارات التي وردت في العهد الجديد اليوناني كانت طبقاً لقواعد اللهجة الآرامية البابلية كما كان جاري الحال في بلاد فلسطين، حيث

تبيّن أن السريانية في زمن ظهور المسيح كانت في فلسطين مثلما كانت في زمان رجوع اليهود من جلاء بابل.

علاقة السريانية بالعربية

بعد الذي تناولناه من علاقة اللغات السامية بعضها البعض، ودخول مفردات كلمات أعجمية إليها، أو العكس، يجدنا أن نتهي هذا الفصل بالتحدث عن علاقة السريانية بالعربية التي سيتضح شكلها بشكل أوسع من خلال الفصل التالي الذي يحوي بعض المفردات التي دخلت اللهجة العربية العامية وبخاصية في اللهجات السائدة في سوريا ولبنان حيث أن الكثير من الكلمات في هذه المناطق تتبدى بالسكون بحسب اللهجة السريانية مثل خشبة، صنبري، خمّي، نزار، بريدة، ومن الأسماء اللّان، القائمة، القرطّ، التقاول، الإشكارة، الطّرقل، الذبيحة. حيث أن الكلمة العربية لا تبدى بالسكون مطلقاً. وعسا عن إيرادنا لعشرات من أسماء القرن السوريّة التي أصلها سرياني فإن كلمة زغرتا تعني الصغيرة على سبيل الذكر.

والعربية والسريانية لغتان شقيقتان متحدتان من أرومة واحدة، متكافتيان في سبيل النمو والتكامل، مكملتان الواحدة dla الأخرى، ذلك أن الباحث العربي مهما تعمق في دراسة أصول العربية وأدابها، فإن دراسته تكون ولا شك ناتجة ما لا يطلع على أصول وأداب اللغة السريانية والعكس بالعكس. وقد تأثرت هاتان اللغتان منذ أجيال سحيبة فيما رفع مشعل العلم والحضارة العالمية، فلا غرو إذن أن تتأثر إحداهما بالأخرى، أو تقترض إحداهما ما تحتاج إليه الأخرى.(1)

وقد تأثرت العربية بالسريانية من جوانب عده، ولا سيما في الفترة التي ازدهرت فيها العلوم عند السرياني وذلك في عهد العرب المسلمين وبخاصية في العهد العباسي، حيث شعر العرب، بعد أن استتب أمزتهم كدولة عظيمة مرهوبة الجانب، بحاجتهم الماسة إلى العلوم، وقد كان لهم نهم شديد إليها، فأعتمدوا السريان نقل العلوم إليهم، لما كانت تربطهم وإياهم من وشائج اللغة والقرآن، وكان السريان آنذاك علماء أفذاذ في شتى الميادين. فشجع العرب مدارس السريان وأوقفوا جماعة من علمائهم إلى بلاد الروم للبحث عن المخطوطات مسند

المطران غريغوريوس صليبا: اللغة السريانية وأدابها وعلاقتها باللغة العربية المجلة البطريركية –

دمشق العدد 29 أيلول 1969 السنة الرابعة ص 488.

68
الكتب العلمية اليونانية لترجمتها إلى العربية، إذ كانوا قد غاصوا في أعماق اللغات الثلاث: العربية والسريانية واليونانية، وقد انسجم السريان مع إخوانهم العُرب واللغة العربية، فشعروا بتعلق إلها العلوم الفلسفية اليونانية.

ويرى د. أحمد شوكت الشطي أن الفتوحات العربية الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه أدت إلى اتصال العرب بهؤلاء السريان والاطلاع على مدارسهم، حيث وجد العرب فيها ما يرضي نفهم الشديد إلى العلم فأكرمو السريان وتركوا مدارسهم قائمة في أنطاكية وحران وغيرها من المدن والبلدان، إكراراً للعلم وحفظ أهمية الكتب الفلسفية والعلمية التي كانت بين يديهم، والتي كان عدد كبير منها من تأليفهم. ولقد أحبح هؤلاء النصارى السريان العرب والمسلمين حبها جماً لما تحلو به من التسامح الدينى والمباغة في إكرام العلماء واحترام رجالهم فبادأوهما الإخلاص والولاء وأساهما في نقل العلوم إليهم حتى أثرت السريان في اللغة العربية بعض التأثير فاستعارت الثاني من الأولى بضع مئات من الألفاظ والعنايين المصطلحة والعبارات العلمية بعد أن صقلت بما يلائم قواعد العربية فجرت على براع الكتاب الثقافات ودخلت المعاجم العربية.

ويتابع د. شطي القول: لقد استفاد الأمويون ومن بعدهم العباسيون من مدارس السريان وعلمائهم فوناد عظمي فعهدوا إليهم ترجمة الكتب من السريان إلى العربية أو من اليونانية إلى العربية، وكانت الترجمة السريانية في كثير من الموضوعات حرفية، ثم تصرف المترجمون دون أن يضيعوا المعنى الأصيل، وهكذا لم يدع السريان كتاباً في الحكمة إلا عربوه. ولقد أدى هذا التماس بين العرب والسريان وتبادل الود والاحترام بينهم إلى أن أتقى رجال الدين من السريان النصارى بتعليم أولاد العرب المسلمين التعليم الراقي. وكان لهذه الفتوى في زمامهم شأن كبير حيث كانت العلوم وفقاً يبره الأدب لمن يجده أهلاً لها من أبنائه كما كان الكهنية لا يقلونه إلا للممتزجين من أتباع دينهم.

وأما نقلناه بين مدى الاحترام الذي كتبه العرب المسلمون للسريان حيث أتقى رجال الدين بتعليم المسلمين شأن الآباء مع الأبناء، ولهذا كان لسان حلال ابن خلدون حين قال: (إن العرب الخلاص لمعبوا دوراً صغيراً فحسب في التطور الأساسي للعلوم عند المسلمين؛ وأن معظم الفضل في ذلك ينبغي أن ينسب إلى الفرس والنصارى واليهود).
بين الحروف والكلمات السريانية - العربية

استمرت العربية كثيراً من الألفاظ السريانية حتى أصبحت المعامل العربية مشحونة بهذه الألفاظ، كما اقتبس العرب الأرقام الهندية من السريان، وكذلك في الكتابة والخط وبخاصة الكوفي، وتائر نحو اللغة العربية بالنمو السرياني، ذلك أن آباؤا الأسود الدوالي المتوفي سنة 198 هـ، والذي يعتبر منشئ النحو العربي، كان قد ذهب إلى الكوفة وتعلم هناك السريانية الفصحى واتصل بعلماء السريان، واستعان بهم في أول نحو نظمته في اللغة العربية فنسح في تبويبه على منوالهم، ووضع قواعده على نمط القوائمن السريانية، واعتمد كثيراً على السريانية، ومن أهم كل ذلك استمد الشكل، أي اقتبس النقاط السريانية التي تميز بها الكلمات، ثم الحركات التي كان قد استنبتها قبل ذلك العلامة السرياني يعقوب الرهاوي (708 وفقدها، وما فعله العلامة ابن العبري (1266–1286) تجاه غراماتي يعقوب الرهاوي أنه أسند على اختصاره فقط.

وقد استمرت اللغة العربية من اللغة السريانية، جارتها الكبرى، مئات السنوات من الكلمات التي أُوكلت أن تنافس على عدد الكلمات العربية الأصلية، حتى أن الكتابة العربية ذاتها هي كتابة سريانية محضة، وهذا ما يثبت أن اللغة المعروفة اليوم باللغة العربية هي بتعابيرها وكتابتها السريانية أكثر بكثير من أن تكون عربية. ومع ذلك يمكن القول إن اللغة لا تسمى باسم الكلمات التي استمرت منها أخواتها اللغات الأخرى، من جراء احتكاكها بها لأسباب سياسية أو تجارية أو ثقافية، مما تكاثرت تلك الكلمات. وأكثر الأمثلة على ذلك اللغة المالطية التي هي خليط عجيب من بضع لغات على رأسها العربية، ويبدو ذلك إلى أن اللغات تسمى باسم الشعوب الناطقة بها. واللغات، تتخذ لها خاصة ترتبط تلك الكلمات المختلفة الأصل، بشكل من التعبير لا يمت إلى غيره بصلة، كما يتضح ذلك في اللغات المالطية والتركية وغيرهما من اللغات.

(*) استعملت كل الأمم العميقة لها آثار كتابية طويلة لتصوير الأعداد بعلامات، أما السريان فأظهر أنهم منذ البدء استعملوا لذلك الحروف الأبجدية.

(1) جرجي زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية مطبعة الهلال - القاهرة 1911 ص 241.

(2) أحمد حسن الزيات: الأدب العربي، القاهرة 1926 ص 215.

(3) حسن عون: اللغة والنحو الطبعة الأولى الإسكندرية 1952 ص 215.
وإذا كانت اللغة السريانية قديمة وتفوق بقدمها معظم اللغات القديمة ولا تغلبها لغة من اللغات السامية، وعوضاً عن السنة العربية، فقد اتخذت ألفاظاً كثيرة من اللغات العربية.

تأتي هذه اللغات في الفارسية واليونانية، حتى أن البعض من رجال الدين السريانيين كانت أسماؤهم يونانية وذلك في بداية المسيحية. وهنا لنا أن نذكر أن ذلك هو أن اللغة السريانية لم تتخذ شيئاً يذكر من اللغة العربية ولا من اللغة العربية التي هما أخواتهما لانتسابهما معهما جمياً إلى اللغة السامية الأصلية، لكن ملأت خزائتها من عبارات لغتية لغتية ليسا من جنس اللغات السامية بل هما متغندة عنها كل البعد في الطبيع والحالم.

فما نرى أن الفرس والترك في عهد الإسلام شحت كل أمة منهما لغتها وأغنتها بالعفاظ بعطل بالعبارات العربية مع أنهما مختلفا الأصل والجنس والطبع والحال من اللغة العربية، وسبب ذلك مجاورة هاتفين الأمتين لها، خاصة في المعطيات التجارية وغيرها. والجدير بالذكر هنا أن اللغات الأرامية الموجودة اليوم هي نظيفة من الألفاظ اليونانية إلا لظاهرة لفظية (بيمة) وغيرها في اللغة العربية، أما الألفاظ اللاتينية التي دخلت في اللغة السريانية فهي قليلة جداً إذا ما قلناها بعد الألفاظ اليونانية.

واللغة السريانية لها آثاراً وعشرون حرفًا وهي حروف أبجد هوز حطي كل من سفوص قرشت التي اتخذ العرب صورها وتربدها هذا من السريان، وللكتب منها ثلاثة خطوط شائعة اليوم وهي الخط السنجاني، والخط الشرقي، أي خط النساطرة المعروف عند العامة الكندية، والخط الغربي المستعمل عند السريان وهو المستعمل إلى اليوم في الكتب والكتابي السريانية.

وتوضيح ما ذكرناه واستناداً إلى المراجع التاريخية نقول إن الخط العربي هو ناشئ عن الخط السرياني، وبه يظهر ذلك من المشابهة القوية بين حروف الخط الواحد الأصلي وهو الكوفي وبين حروف الخط الآخر وهو السنجاني الذي كان شائعاً يُنقّل الخط الكتابية، كما يظهر ذلك من ترتيب الأجدية لدى العرب إذ يقولون أبجد وزوي مطحيل إلى من نسق ترتيب السريان، والحروف المقطوعة، وما بعدها في الخط السنجاني هي بينها مقطوعة في الخط العربي إلا الهوا والصاع والصاع، كما يتضح ذلك من عدد صور الحروف فإنها أثاث وأعشرون صورة في العربية شأن الحال في السريانية مع أن العربية حروفها أكثر من اثنتين وعشرين. وتوضح هذا الأمر نقول حين بدأ العرب الكتابة فقد كتبوا في البدء بالخط السنجاني نفسه أو بالنبطي المشتق منه، وإذا كانوا أمة قائمة بنفسها تغيرت
الخط العربي الأول لم يسم الكوفي إلا بعد أن عتق وبطل استعماله، وإنما سمى بهذا الاسم نسبة إلى الكوفة وهي مدينة مشهورة في العراق، لأن تلك المدينة كانت دار الخلافة وفيها كتب أول مرة معظم الكتب الإسلامية.

ولا يعرف الزمان الذي بدأ به العرب بالكتابة، لكن الكتابات الكثيرة المنقوشة على الرقم التي توجد في حوران والنواحي الشمالية من جزيرة العرب اللواتي أهلها جمعاً كانوا عرباً والتي هي مكتوبة بالخط السرياني واللسان السرياني، وذلك من ناحية القرن الأول بعد الميلاد نحو القرن الخامس، حيث تشع بالأن العرب في الأول لم يكونوا يكتبون بلغتهم العربية الآثار التي كانوا يريدون بقائها لكن باللغة السريانية كما فعلت الأمم الإفريقية، إذ كانوا في أول أمرهم يكتبون باللغة اللاتينية لا بلغاتهم الخصوصية.

وربما القول إنه إلى اليوم لم يكتشف أحد كتابة بالعربية سابقة لعهد الإسلام، وأول كتابة عربية اتصلت بها هي مكتوبة بعد وفاة الرسول محمد وبالخط الذي يسمى الكوفي، والبرغم أن الخط الكرشوني الذي هو كتابة عن كلام عربي يكتب بالخط السرياني وضعه السرياني بهذه الطريقه بعد ظهور الإسلام ولانشأره في البلاد العربية في نواحي القرن السابع للميلاد وذلك ليلحقوا أمورهم الدينية والسياسية على المسلمين، وقلما استعمل السرياني هذه الكتابة في غير ذلك، وأمكنهم بهذه الطريقه إخفاء أمورهم بهذه الكتابة على العرب لأن هؤلاء في الأصل يكتبون بالخط السرياني، إلا أنه في ذلك الزمان كان الخط العربي قد تغير جداً حتى زال عنه ظاهر الشبه بالخط السرياني.

وإذا كنا قد تناولنا إشكالية الخط العربي وما رافق ذلك من تطوره إلى أن وصلنا عليه الآن والتدخلك والاقتصاص بينه وبين السريانية فإننا ننوي هذا الفصل بتحليـل لتطور
الأحرف العربية وبعدها عن السريانية إلى أن استقامت في وضعها الراهن. فقد استقر عند العرب أن الخط العربي لا يحوي إلا أثنتين وعشرين صورة ولغتهم فيها أكثر من أثنتين وعشرين حرفًا لم يخترعوا صورًا جديدة للحروف المختصة بلسانهم كما فعل بعض الأمم الأفريقية الشمالية لما بدأت أن تكتب ولا اخترعوا طريقة وضع صورتين أو أكثر من الصور الأبجدية للحروف الخصوصية كما فعل اللاتين لتصوير الخاء والثاء والفاء والراء اليونانيات وكما فعلت الأمم الأفريقية الحديثة، إذ لما رأوا أن صور الأبجدية اللاتينية لا تحوي كل حروف لغاتهم جعلوا صورتين أو أكثر من حروف هذه الأبجدية علامة لحرف واحد من حروفهم الخصوصية، وقد سلك كل منهم مسالكًا خاصًا، منها من صور مثلًا الشين التي لا توجد في اللاتينية بالكاف والباء، ومنهم بالسين والباء، ومنهم بالسين والكاف والباء، ومنهم بالسين والراء ومنهم كغير ذلك، وقص عليه سائر الحروف الخصوصية التي إذا راجعنا اللاتينية لا نجدها بها.

ويستغرب المطران يوسف داوود، وهو أحد أبرز من درس اللغتين السريانية والعربية في أصولهما الهجوية ومفرداتهما وتطور خطهما أقدم العرب إلى تصوير الضاد المختصة بلغتهم ولا توجد في لغة أخرى من لغات العالم، فهم لم يخترعوا لها صورة العين التي بهَا يلفظ السريان الضاد العرَبيَّة، لكن اخترعوا لها صورة الصاد التي بها يلفظ العربون الضاد العرَبيَّة، لأن الصاد تقر إلى الضاد في لفظها أكثر من العين. وعكس ذلك فعلوا بالظَّاء فإنهم لم يصوروها بالصاد كما يلفظوها العربون، لكن صوروها بالظَّاء كما يلفظها السريانون وذلك لأن لفظ الظَّاء أشبه بالظَّاء من الصاد. وكان في أول الأمر لكل زوج من الحروف العربية المذكورة صورة واحدة، ثم بكثرة الاستعمال تقارب أيضًا صور غير هذه من الأحرف إلى صور أحر أخرى كالجيم إلى الحاء والزاي إلى الرَّاء والضَّين إلى السين والقاف إلى الفاء، وتشابهت صور النون والباء والباء والثاء بعضها بعضهم في حشو الكلمة وأولها خاصة. وهكذا وجد كثير من صور الأبجدية كل منها علامة لحرف واحد أو أكثر، وصارت الحروف العربية التي هي شمالية وعشرون في لفظها يعبر عنها بخمس عشرة صورة فقط وهذا عيب متعدد بالحقيقة ولكنه ينسب إلى الكتاب لا إلى أمة الأمّة. وبقي العرب على هذا الحال زمانًا ثم رأوا من الواجب تمييز الحروف المشابهة الصور المختلفة اللائحة يرفع الالتباس فاختبروا لذلك طريقة التنتيط. ولكن بعد اختراع هذـه
الطريقة أيضاً كتبت كثيرة على الطريقة القديمة أي بلا نطق، وأما اليوم فقلم ما يكتب العرب شيئاً بلا نطق إلا اسم الشخص الذي يمضي بخطه كتاباً أو غير ذلك. (1)

وهنا علينا القول إن العرب حين أرادوا تصوير حروفهم التي لا توجد في اللغات السريانية لم يرتكبوا هذا الشстве الموجب الببلية، لكن أظهروا حذاقة فيولوجية فائقة لتمييزهم بها أمة من الأمم القديمة، فأنهم مع جهلهم بعلم اللغات وخصوصاً أن لغتهم ولغة السريان أصلها واحد، فإذ اعتبروا أن الذال تقارب الدال في مخرجهما اكتفوا بصورة السلاجقة، وجعلوها علامة للذال والذال معاً، وكذلك فعلوا بالخاء مع الحاء والطاء مع الطاء والغين مع العين وصداء للصادي والثاء مع التاء، وهذه القاعدة التي اتخذها العرب لتصوير حروفهم الخصوصية تتأيد وتضمن صحتها بمقابلة اللغة العربية باللغة السريانية، فإنه ممن ذلك يتضح أن كل زوج من هذه الحروف التي عدناها يلفظ عند السريان لفظاً واحداً، فإذا ساوا السريان الزوج الواحد في اللفظ في أول الزمان ساوا العرب في الخط في آخر الزمان وهكذا دواليك.

وإذا كان الفصل التالي بين الكلمات السريانية المتداولة عربيةً يومياً، فإن ذلك لا يمنع أن نعطي السريانية نفس الأهمية التي أعطتها إياه الجامعات الألمانية معنَّة ذلك:

أولاً - حتى يستطيع الطلاب الاطلاع على جذور اللغة العربية والعبرانية.
ثانياً - لأن اللغة السريانية كانت يوماً ما جسمًّا مرت عليه فلسفة اليونان إلى الجانب الثاني الذي يمثل الفكر العربي.
ثالثاً - أن بعض المؤلفات اليونانية الفلسفية فقدت، ولكن ترجمتها بقيت باللغة السريانية. (2)

إن اتصال العرب بالعناصر الأجنبية (قد أكسب اللغة العربية مرونة ورحابة وقوة بحيث ظهرت للعالم أول ما ظهرت وهي لغة ثامة النضج والتكوين، لغة ذات حيوية تستخدم أن تتناول العناصر الأجنبية وتencoderها وتمثلها، فلا خوف عليها من أن تنتشر بعد ذلك في العالم، وتتصل بلغات جديدة وثقافات جديدة في مشارق الأرض ومغاربها).
تلك هي علاقة السريانية بالعربية من جذورها إلى امتدادها، علاقة الشقيق لشقيقه والأب لابنه، إنها علاقة الأخوة والمحبة بين شعبين أختطفت بينهما بحيث تبادلا اسماء بعضهما البعض في محبتهما الأبدية.

ورقة من مصحف بخط كوفي مقوط نقاط إعراب على الرق يعود لأواخر القرن الثالث الهجري (موجود في فلورنسا).

فأدخلت السماوات
ولا أعد تصرف عني
لسماح في الجعل الغير
الله إلهي هو الحاكم
اللهم فسجدنا إليه وampilنا
بازة لله لسستر笔

(1) الدكتور محمد عوض محمد: ثقافة الشرق والغرب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب - القاهرة 1959 ص 31.
بعض الكلمات السريانية المتناولة في حياتنا اليومية

قليلة هي المراجع العربية التي أعطت موضوع مقارنة الفردات العربية بما يماثلها في معامج بقية الألسن السامية التي من شأنها تبيان التلاحاخ والتنسيق المنطقي المعقول في سير توسع الألفاظ وتطور مدلولاتها.

ويمكن حصر الكتب التي تناولت الكلمات السريانية وتداخلها مع اللغة العربية، بشيء أقل مع بقية اللغات السامية، مما اعتمدناه في الصفحات التالية بخمسة مراجع وهي:

البطريرك مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم: الألفاظ السريانية في المعامج العربية نشر المجمع العلمي العربي – دمشق 1951.


المطران يوسف داوود: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية جزءان طويل في دير الآباء الدومنكيني – الموصل 1898.

الخوري أسحق أرملة: القرى السريانية في مدن سورية، مجلة المشرق بيروت السنة الثامنة والثلاثون 1940.

د. داود الحلبي الموصلي: الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية مطبعة النجم الكلدانية – الموصل 1935.

وقد عمل البطريرك برصوم في كتابه الأدف الذكر إلى وضع الكلمة السريانية بنفس اللغة ومقارباً لها باللغة اللاتينية لمعاني الكلمات العربية المأخوذة منها، معرفاً أحياناً على بقية اللغات السامية فكان عمله، واقداً في ذلك، حتى يعرف القُرآئي العربي أبجديات الألسن السامية، وبقدر ما كان هذا الجهود كبيراً فقد نقدم الأب (أ. س. مرمجي الدومنكي)
على ضوء اللاتينية والسامية نقداً علمياً، وسِيَّر اسم المرجع في الصفحات التالية،
وقد خصص 150 صفحة لذلك مُتَناولًا بعض الكلمات ناغداً تسببتها إلى هذه اللغة أو تلك.
وقد عمدنا في إيراد بعض الكلمات السريانية المتداولة في حياتنا اليومية إلى وضع
الاسم السرياني وما يقابله بالعبري، سواء لاسماء بعض القارئ السرياني على سبيل إيراد
بعض الشواهد لأسماء قرئ لا يعرف القراء العربي أن اسمها سرياني الأصل - مع ذكر
بعض الأمثلة من اللغة السامية (العربية) المتداولة في سورية الطبيعية دون معرفة القارئ
ذلك لألصاها السرياني، كما أوردنا بعض الكلمات المتداخلة في أكثر من لغة
من اللغات السامية.

صحيح اعتمدنا المراجع أعلاه في تثبت ذلك، ولكننا أضفنا بعض الكلمات التي لم ترد
في المراجع أعلاه مع تصويب بعضها.
وتبنينا إيرادها باللغة اللاتينية حتى ندع ذوي الاختصاص الرجوع إلى هذه المراجع،
ذلك أن قراء الحروف اللاتينية هم من جمهرة المتغلبين في بلادنا، ولهذا أوردنا في نهاية
الفصل بعض الكلمات العربية، السريانية الأصل وكما تلفظ باللاتينية.
ونتمنى أن يقوم علماء اللغة حق القيام برسم اللغة العربية وأحوالها السامية وإيجاد
الأبجدية الصائبة عن طريق المطابع لتحقيق مطالب الحروف الحلقيه وغيرها الخاصة
بالعربية وأحوالها، والخالية منها الأبجدية اللاتينية.
ولنضرب مثالاً على ذلك، فهي العربية نقول برأ: أي خلق، برئ من العيون والد眸ون,
Bara وفي السريانية يقول خلق، صنع، اخترع، أخرج، أبعد... إلخ، وفي العربية
(بالألف) برأ، أوجد، خلق، أما في الأكادية
بَرُّا، أوثق، تدق. قيد.

هذا الفعل الناقص مختلف اللام في العبري وأحوالها. فهي العربية: برئ، برأ، برء،
وفي السريانية ينتهي بالألف. وفي العبري تكون لامه تارة هاء، وطراً ألفاً. وفي الأكادية
لا يوجد لام، ولا هاء، ولا هزة، فيقوم عوض ذلك إشباع حركة العين. على أن كَل
هذا مشتق من الثاني السابق، وهو (بر)، ودلالته الأصلية، كما ظهر في المادة المتقدمة,
هي القطع، والفصل. وهذه الفكرة قد توسعت في مشتقاتها، في الفعل الذي يدعو
الصرفيون ناقصاً، أو مهموم اللام.
ولم يجر أول توسع لهذا الأصل الثنائي بزيادة حرف، لكن بمد حركة العين، فجاء من ذلك (برى)، والألف هنا ليست بالحقيقة حرفًا، بل هي علامة لإشباع الحركة السابقة، أي الفتحة. والدليل أن الأكاديمية المدونة بالكتابة المقطعة لا وجود فيها لحرف في الآخر، بل أن صابئة المقطع الثاني طويلة لا غير. أما السريانية، فإشباع يجري فيها بالكسر وهذه، وأما في العربية يتم المدببة بالباء، وتارة بالكسر، لأن هذين الحرفين يقومان بوظيفة إشباع الفتحة. على أن العربية فيها نية الحركة الثنائية فتصبح همزة، مما يتولده منه مهمز، واللام. وإذا ما تقرر ذلك، أي أن الأصل هو الثنائي (بر) الدال على المقطع، والفصل، والنحت، والتشكيل، هان علينا تبيان الاشتقاق. (برى) في العربية، يعني: قطع القلم، ونحت السهم وفي ذلك فكرة القطع، في (بر) من المرض، يوجد فكرة الانقسام عن السهم والعودة إلى الصحة. أما (بر)، بمعنى خلق فدلاته الأصلية هي الصنع بالقطع والنحت، ثم خصص بفعل صنع الله الخلائق من العم، ومن الصنع نشأ مفهوم التأسيس والتاليف. وكذا الأمر في مزيدات (برى أو برأ) إذ في سائرها سائدة فكرة القطع والفصل الأصلي في الثنائي. ومن مفهوم الفصل تولد مدلول التخير، والإخراج، والإبعاد، والنزع، والتجريد، والتطهير والتبشير.

ونرى في العبرية مفهومي الأكل ثم الإقادة ثم السهم والتضخم، فهذه كلها سهيلة الإدراك ومتساوية الاشتقاق، لأن الأصل هو القطع، وما عمل الأكل إلا تطبيع الماكولات بالأسنان، قبل إبتلاعها، ومن الأكل نشأ الصحة، ومن نتائج الصحة، السهم، Berit ومن فرط السهم، التضخم، ويدل فعل Baru بarat على الميثاق والعهود، وهو Biritu، بيد أن هذا المدلول عينه ناجم عن القطع والفصل، لأن من عادات الأقدامين، في حفلات عقد المحالفات، والارتباط بالجهد، إنهم كانوا يذبحون الذبائح ويأكلون منها، فسمى العمل الاجتماعي باسم الفعل المادي، أي نحر الأذاع، التي كانت تجزر في تلك الفرس (سفر يشوع: 9: آي، سفر القضاة: 3: 2، 1، سمونيل: 18: 3، 18: 33) كما أن أصل القسم (بمعنى اليمين) صادر عن مثل ذلك، لأنه وقت الحلف بالأيمان، كانت تجزر الجذور، وتقسم أشواها على المتحالفين الذين كانوا عند إبراهيم (القسم)، يغمون أيديهم في دمائها (لسان: 8، 36، تاج: 4، 203).
ونذر في العربية كلمتي (ابن وابنة) ثم لفظة Bar في السريانية والعبرية، و

والنذه في اللغة السامية يقتضي أن تركار والذين يتلاقاؤن في اللغات السامية، ولعله يقلص هذا الأصلين في الدالة، لفظة Bar التي في العبرية والسريانية تدل على الابن وهي من Bra و Bara بمعنى صنع، خلق، أولد، تكون الإبلان نوعاً من الصنع والخلق.

وبأي (ابن) العربية فهي آنية من (بني) المبتدلة من بناءً بدلالة (بني) العربية، ودلالة أولد، لأن البناء ضرب من التكوين على إيدال الراء من النون هو أنه حتى في الأرامية نشاهد أن جميع Bar بمعنى (ابن) أو مولود هو حيث تظهر النون. وكل هذا متضمن في الثاني (بن) ومبده (بن) الدلال على Bnaya الانفصال والإشتقاق عن الأصل والصدر والتولد.

والآن وبعد هذا التبين لتدخل اللغات السامية مع بعضها البعض نذكر أسماء القرى السورية السريانية الأصل، معتمدين فقط على ما ورد اسمها مسبقاً أو مجرد كم كلمات كفر، تل، ميعة، دير، وهي البعض من هذه الكلمات المبتدولة وفي محافظات ثمانية من المحافظات السورية، وكنا قد ذكرنا بعض أسماء المدن السريانية الأصل في كتابنا (السوريون والحضارة السريانية)، ولا نود من كتابنا هذا أن يكون قاموساً في هذا الشأن، ولكن لندرة المراجع التي تتحدث عن هذا الموضوع وصعوبة وصولها للقارئ، ولأن الكثير من القراء عانتونا في هذا الشأن لعدم معرفتهم لأسماء مدنهم وقرامهم في أثناء نذكر البعض منها أميلن أن يرى مؤلف الأب المرحوم يوسف أيوب (الأصول السريانية) في أسماء المدن والقرى السورية) النور بعد أن عمل مؤلفه الكثير في تأليفه.

الأصول السريانية لأسماء بعض القرى السورية

كفر أو كفره أو كفرة، أو كفرنايا تعني القرية الصغيرة، وهي كلمة سريانية معرفة أكثر ما يتكلم بها أهل الشام وتواجداً الأثرية والعبرية وهي لفظة من اللغة السامية القديمة

وعني أيضاً مسند، غسل، طهر، أزل.

(1) التوسع في هذا الشان، راجع الأب أ. س. مرمرجي. الودعم. معجمات عربية - سامية مطبعة

الرسلين اللبنانيين، جوابية لبنان. 1950.
<table>
<thead>
<tr>
<th>قرية</th>
<th>النبيذ</th>
<th>قرية السفاح</th>
<th>قرية السيف</th>
<th>قرية السيف</th>
<th>قرية السفاح</th>
<th>قرية السيف</th>
<th>قرية السيف</th>
<th>قرية السيف</th>
<th>قرية السيف</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
<td>كفر حمام</td>
</tr>
</tbody>
</table>
أسماء بعض القرى السورية التي تبدأ بكلمة مغارة

<table>
<thead>
<tr>
<th>كلام</th>
<th>كلام</th>
<th>كلام</th>
<th>كلام</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مغارة الشعر</td>
<td>مغارة الشعر</td>
<td>مغارة الشعر</td>
<td>مغارة الشعر</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة الأكبار</td>
<td>مغارة الأكبار</td>
<td>مغارة الأكبار</td>
<td>مغارة الأكبار</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة خان طومان</td>
<td>مغارة خان طومان</td>
<td>مغارة خان طومان</td>
<td>مغارة خان طومان</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة الشيف</td>
<td>مغارة الشيف</td>
<td>مغارة الشيف</td>
<td>مغارة الشيف</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة البس</td>
<td>مغارة البس</td>
<td>مغارة البس</td>
<td>مغارة البس</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة المساوي</td>
<td>مغارة المساوي</td>
<td>مغارة المساوي</td>
<td>مغارة المساوي</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة عرب</td>
<td>مغارة عرب</td>
<td>مغارة عرب</td>
<td>مغارة عرب</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة حرة</td>
<td>مغارة حرة</td>
<td>مغارة حرة</td>
<td>مغارة حرة</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة بيت</td>
<td>مغارة بيت</td>
<td>مغارة بيت</td>
<td>مغارة بيت</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة سلتي</td>
<td>مغارة سلتي</td>
<td>مغارة سلتي</td>
<td>مغارة سلتي</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة شمس</td>
<td>مغارة شمس</td>
<td>مغارة شمس</td>
<td>مغارة شمس</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة صغيرة</td>
<td>مغارة صغيرة</td>
<td>مغارة صغيرة</td>
<td>مغارة صغيرة</td>
</tr>
<tr>
<td>مغارة سوداء</td>
<td>مغارة سوداء</td>
<td>مغارة سوداء</td>
<td>مغارة سوداء</td>
</tr>
</tbody>
</table>

أسماء بعض القرى السورية التي تبدأ بكلمة دير

<table>
<thead>
<tr>
<th>كلام</th>
<th>كلام</th>
<th>كلام</th>
<th>كلام</th>
<th>كلام</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
</tr>
<tr>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
</tr>
<tr>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
</tr>
<tr>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
</tr>
<tr>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
<td>دير النطة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(الدير هو المسكن أو المنزل الذي يسكن فيه جماعة من الرهبان.)
أسماء بعض القرى السورية التي تبدأ بكلمة تل

<table>
<thead>
<tr>
<th>الكلمة الكلامية</th>
<th>الكلمة العربية</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>تل هدما</td>
<td>ربوة الأحباء</td>
</tr>
<tr>
<td>تل سلمو</td>
<td>ربوة من طير</td>
</tr>
<tr>
<td>تل جبين</td>
<td>رابية النساء</td>
</tr>
<tr>
<td>تل نيشا</td>
<td>تل سوسين</td>
</tr>
<tr>
<td>تل عقربين</td>
<td>تل تيناء</td>
</tr>
<tr>
<td>تل عبدا</td>
<td>من ركض وتخلص، تل النجاة</td>
</tr>
<tr>
<td>تل نويب</td>
<td>تل تورين</td>
</tr>
<tr>
<td>تل سير</td>
<td>ربوة النافع الصغير</td>
</tr>
<tr>
<td>تل سير</td>
<td>ربوة النافع الصغير</td>
</tr>
<tr>
<td>تل شيخ</td>
<td>ربوة الدبس</td>
</tr>
<tr>
<td>تل فيتا</td>
<td>ربوة السجن</td>
</tr>
<tr>
<td>تل عرماي</td>
<td>ربوة الجميلة</td>
</tr>
<tr>
<td>تل عرماي</td>
<td>تل الحبل</td>
</tr>
<tr>
<td>تل الساكن</td>
<td>تل العرماي</td>
</tr>
<tr>
<td>تل الغرباء</td>
<td>تل الأعماق</td>
</tr>
<tr>
<td>تل عداي</td>
<td>تل الأعماق</td>
</tr>
</tbody>
</table>

بعض الكلمات السريانية العامية المتداولة في سورية الطبيعية

<table>
<thead>
<tr>
<th>الكلمة الكلامية</th>
<th>الكلمة العربية</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أفُنتَر</td>
<td>تخبتر، تمايل في مشيته</td>
</tr>
<tr>
<td>ياَد</td>
<td>إبتذل، تحرش</td>
</tr>
<tr>
<td>إلَمْيذ</td>
<td>تلميذ</td>
</tr>
<tr>
<td>عَاَنتُر</td>
<td>إعتذر</td>
</tr>
<tr>
<td>كَأَنْيِنْ</td>
<td>الكانون الذي يخز فيه</td>
</tr>
<tr>
<td>الكَرَمَة</td>
<td>الكرمة</td>
</tr>
<tr>
<td>مَعْتَنِيَة</td>
<td>المعتنكة</td>
</tr>
<tr>
<td>مَغْرَب</td>
<td>الغرب</td>
</tr>
<tr>
<td>مَنْتَيَك</td>
<td>ينطير</td>
</tr>
<tr>
<td>مَوْلَد</td>
<td>المولد</td>
</tr>
<tr>
<td>نَبْكَر</td>
<td>نبكر</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(4) من الملاحظ أن أحرف ب، ج، ذ، ط، ض، ز، م، والموجودة في السريانية إما هي تركيز لأحرف أخرى موجودة في السريانية وهي: ت، ك، د، ح، وهو ما غُلِّبه في اللغة العامية.
<table>
<thead>
<tr>
<th>اللغة العربية</th>
<th>لغة الفناء</th>
<th>اللغة الفلكلورية</th>
<th>اللغة الفصحى</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>بركان</td>
<td>بركان</td>
<td>بركان</td>
<td>بركان</td>
</tr>
<tr>
<td>برلمان</td>
<td>برنار</td>
<td>برنار</td>
<td>برنار</td>
</tr>
<tr>
<td>خديجة</td>
<td>خديجة</td>
<td>خديجة</td>
<td>خديجة</td>
</tr>
<tr>
<td>داخل</td>
<td>داخل</td>
<td>داخل</td>
<td>داخل</td>
</tr>
<tr>
<td>جبل</td>
<td>جبل</td>
<td>جبل</td>
<td>جبل</td>
</tr>
<tr>
<td>دعك</td>
<td>دعك</td>
<td>دعك</td>
<td>دعك</td>
</tr>
<tr>
<td>وجه النافورة</td>
<td>وجه النافورة</td>
<td>وجه النافورة</td>
<td>وجه النافورة</td>
</tr>
<tr>
<td>الأرض المزروعة</td>
<td>الأرض المزروعة</td>
<td>الأرض المزروعة</td>
<td>الأرض المزروعة</td>
</tr>
<tr>
<td>شروش</td>
<td>ندرا</td>
<td>ندرا</td>
<td>ندرا</td>
</tr>
<tr>
<td>يابو</td>
<td>يابو</td>
<td>يابو</td>
<td>يابو</td>
</tr>
<tr>
<td>قفص</td>
<td>قفص</td>
<td>قفص</td>
<td>قفص</td>
</tr>
<tr>
<td>كيده</td>
<td>كيده</td>
<td>كيده</td>
<td>كيده</td>
</tr>
<tr>
<td>نظيفة</td>
<td>نظيفة</td>
<td>نظيفة</td>
<td>نظيفة</td>
</tr>
<tr>
<td>مشروحة معه</td>
<td>مشروحة معه</td>
<td>مشروحة معه</td>
<td>مشروحة معه</td>
</tr>
<tr>
<td>جارحة</td>
<td>جارحة</td>
<td>جارحة</td>
<td>جارحة</td>
</tr>
<tr>
<td>شفف</td>
<td>شفف</td>
<td>شفف</td>
<td>شفف</td>
</tr>
<tr>
<td>القبلة</td>
<td>القبلة</td>
<td>القبلة</td>
<td>القبلة</td>
</tr>
<tr>
<td>ممزق</td>
<td>ممزق</td>
<td>ممزق</td>
<td>ممزق</td>
</tr>
<tr>
<td>ندرا</td>
<td>ندرا</td>
<td>ندرا</td>
<td>ندرا</td>
</tr>
<tr>
<td>أغلق، أوصد</td>
<td>أغلق، أوصد</td>
<td>أغلق، أوصد</td>
<td>أغلق، أوصد</td>
</tr>
<tr>
<td>قطع</td>
<td>قطع</td>
<td>قطع</td>
<td>قطع</td>
</tr>
<tr>
<td>فرخج بين رجليه</td>
<td>فرخج بين رجليه</td>
<td>فرخج بين رجليه</td>
<td>فرخج بين رجليه</td>
</tr>
<tr>
<td>تتشكل</td>
<td>تتشكل</td>
<td>تتشكل</td>
<td>تتشكل</td>
</tr>
<tr>
<td>جرد العظم</td>
<td>جرد العظم</td>
<td>جرد العظم</td>
<td>جرد العظم</td>
</tr>
<tr>
<td>صفي، نظم</td>
<td>صفي، نظم</td>
<td>صفي، نظم</td>
<td>صفي، نظم</td>
</tr>
<tr>
<td>غراب</td>
<td>غراب</td>
<td>غراب</td>
<td>غراب</td>
</tr>
<tr>
<td>قوم، انض</td>
<td>قوم، انض</td>
<td>قوم، انض</td>
<td>قوم، انض</td>
</tr>
<tr>
<td>أصل الشجرة</td>
<td>أصل الشجرة</td>
<td>أصل الشجرة</td>
<td>أصل الشجرة</td>
</tr>
<tr>
<td>اللغة العربية</td>
<td>معنى المفردات</td>
<td>اللغة العربية</td>
<td>معنى المفردات</td>
</tr>
<tr>
<td>--------------</td>
<td>--------------</td>
<td>--------------</td>
<td>--------------</td>
</tr>
<tr>
<td>رائحة</td>
<td>ريح</td>
<td>ريس</td>
<td>ضرب</td>
</tr>
<tr>
<td>الحر</td>
<td>شوب</td>
<td>شطب</td>
<td>شغل</td>
</tr>
<tr>
<td>قطعة</td>
<td>شقة</td>
<td>شغل</td>
<td>نزع تبغه</td>
</tr>
<tr>
<td>حبل</td>
<td>شقل</td>
<td>شغل</td>
<td>نزع</td>
</tr>
<tr>
<td>حكم</td>
<td>دان</td>
<td>تور</td>
<td>نوب وسع</td>
</tr>
<tr>
<td>دكان</td>
<td>حانوت</td>
<td>حاز بيعه</td>
<td>تور</td>
</tr>
<tr>
<td>جبروت</td>
<td>جبار</td>
<td>جرجر</td>
<td>بقلة تبت في المناقع</td>
</tr>
<tr>
<td>إكيل</td>
<td>تاج</td>
<td>تكة</td>
<td>رباط السراويل</td>
</tr>
<tr>
<td>الكذاب المهووم</td>
<td>دجال</td>
<td>خيبص</td>
<td>حلواء من سميد وسمن وعسل</td>
</tr>
<tr>
<td>طريق</td>
<td>درابوز</td>
<td>دميا</td>
<td>قوام كخشب أو حديد</td>
</tr>
<tr>
<td>سيّد، رئيس، زعيم</td>
<td>ربد</td>
<td>رصده</td>
<td>دميء، شبل</td>
</tr>
<tr>
<td>جلد رقيق</td>
<td>زرقة</td>
<td>ريد</td>
<td>ذنف</td>
</tr>
<tr>
<td>سنونة صغيرة</td>
<td>زورق</td>
<td>شرف</td>
<td>سبيح الله وسبيح له</td>
</tr>
<tr>
<td>جنس شجر حرجي</td>
<td>سرو</td>
<td>سقية</td>
<td>غوغاة الناس وساقطهم</td>
</tr>
<tr>
<td>قضيب</td>
<td>الساحل</td>
<td>شاطئي</td>
<td>نعيم</td>
</tr>
<tr>
<td>الجبل</td>
<td>بكر العين وشدت لنرون الملجه عن الجماع</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>عكر</td>
<td>عميات</td>
<td>عيني</td>
<td>عيني</td>
</tr>
<tr>
<td>ثني</td>
<td>غيام</td>
<td>عيني</td>
<td>قليل فطنة</td>
</tr>
<tr>
<td>مرآة الكلام</td>
<td>فص</td>
<td>فرش</td>
<td>فرط نبر الرمان مكلاً</td>
</tr>
<tr>
<td>الجزء من الكتاب</td>
<td>كراس</td>
<td>كازوزة</td>
<td>كازوزة، قارورة</td>
</tr>
<tr>
<td>تلاقية، نافذة</td>
<td>قوة</td>
<td>قود</td>
<td>قوة</td>
</tr>
<tr>
<td>قائد السفينة</td>
<td>إجابة</td>
<td>لبيك</td>
<td>إجابة</td>
</tr>
<tr>
<td>الأصل</td>
<td>ناطور</td>
<td>جلف</td>
<td>ناطور</td>
</tr>
<tr>
<td>زعير</td>
<td>أعياد</td>
<td>أم شكل</td>
<td>أم شكل</td>
</tr>
<tr>
<td>عرق العظام</td>
<td>كرض</td>
<td>زغول</td>
<td>زغول</td>
</tr>
<tr>
<td>من، نسا</td>
<td>قصر الشعر</td>
<td>قرطط راسو</td>
<td>قرطط راسو</td>
</tr>
<tr>
<td>فروق علي</td>
<td>رحم</td>
<td>حلا، لحم</td>
<td>حلا، لحم</td>
</tr>
<tr>
<td>وفيه، وسطة</td>
<td>مريح، عزه</td>
<td>كفر</td>
<td>كفر</td>
</tr>
<tr>
<td>قلب، أراق</td>
<td>مسرح، ظهر، عزاز</td>
<td>أمسك</td>
<td>أمسك</td>
</tr>
<tr>
<td>رضم</td>
<td>قيض</td>
<td>قيض</td>
<td>قيض</td>
</tr>
</tbody>
</table>

---

85
وما قدمناه هو غيض من فيض لكلمات عامة نتناولها يوميًا، وسنورد فيما يلي خمس كلمات، سريانية الأصل، دون التعريف بها، فهي معرفة نفسها بنفسها، وهي: الهم، الصابون، الشراب، البلغم، البلاط.

إذا اليوم نتناول كل هذا فترجع الغريب إلى أصل عربي فقط، فترى ذلك خطأً، كما لو كنا نقول: إن القصب وقصب السكر والقنا (البابو أو الخريزنان) شيء واحد، فالقصب هو قصب سكر، فقد حاولته، والقصبة هي خيراتنا إلا أنها دفعت وضعمت.

وحن نحن على هذا الأساس كنا نتحرر: من أين نحتاج كلمة هسه؟ والجواب السريع هو من عبارة: هذه الساعة.

وكننا نقول هذا الشيء قبل أن نعلم أن هشة في السريانية هي الظرف الوحيد لمعنى (الآن) ولا يوجد في السريانية الظرف الآخر بهذا المعنى (العهد القديم بالسريانية).

ولنذكر من عاداتنا ما يتناول في كل المناطق السورية الأصل مثل: (منو) وهي سريانية بمعنى: من هو، وكلمة (هاري) بمعنى: تلك... سريانية أيضاً، وكلمة (منه) هي سريانية بمعنى: من هي؟ وهي قريبة جداً من أختها العربية. كما يقولون (كتب) بمعنى كتاب أو مكتوب بالعربية، ونقول (اللاد) بدلاً من ذلك، وهي سريانية وآرامية في الوقت نفسه، ويفلنونها في بعض مناطق العراق: يلذك، أي بحرفية الكلمة السريانية التي هي ياء ولاام وكاف، قسم، والسريان يبدونها بالسكون فتكون: إلك، أو إلخ، بلجة بعضهم، ونجمع (أب) في عامينا على (إببات) بدلاً من أباه، وأباهات هذه هي جمع آب سريانية وآرامية، أي الآباء الروحين في السريانية والأباء بصورة مطلقة في الآرامية.

والأسماء التي ذكرناها مع غيرها الكثير تجد صعوبة حتى بين الثقفين لتنطقها بصورة صحيحة، حسب موقعها من الإعراب، فالسوري يستقل إيدال الواو بالألف والباء، وهؤلاء يقول: سلم على أبوك، وعزيزي أبو خلون... هذا الساري له جذور آرامية سريانية، القاعدة في هاتين اللغتين.

وفي العراق ينادون (إبناديم) بلفظها كلمة واحدة، وابنادم تعني الإنسان... إنها سريانية، وليس لهذه اللغة كلمة لإنسان غيرها، والعوام، وب خاصة في جنوب العراق يستعملونها بدلاً


86
من الإنسان بكثرة. وفي بعض مناطق سورية يقال (أتان) وهي كلمة مدعمة مخفقة النون، ولكنها سريانية كاملة جامحة بمعنى: اتن، بلا تلف ولا تخفيض. ونقول (بت) بدلاً من بنت، والغالب أنها مختصرة من بنت، ولكنها آرامية بهذا المعنى تلفظ: بت وثث، باعتبار النَّاء والثاء حرفًا واحدًا في الأرامية والسريانية.


كما نرى في عامة العراق، على الأكثر، يقولون (عد)، وحتى في لغة الشام وبيروت تستخدم هذه الكلمة، وهي ظرف زمان ومكان سرياني، حيث نقول: خليت الفلوس عند المطر (مكان) وعندما رحت (زمان)، وهذه من عامة جنوب العراق.

وكلمة (كل) سريانية أي (كل) العربية، وتعني تناول الطعام، وكلمة (تلُّقب) أي المقابل سريانية، وتقول العامة وعلى حسب المناطق: الكبل والطيب، وتعني المقابل، وكلمة (بينات) السريانية تعني: (بين) العربية الفصحية، ومع أنها أكثر حرفاً من بين وأكثر نطقًا إلا أن العامي يستعملها كثيرًا.

وكانا قد ذكرنا في الجدول المتقدم كلمات براني وجواني، وهنا نضيف أن كلمة (سبر) و(جرو) أي للخارج والداخل هما سريانيتان ولا صلة لهما بالبرية والأجواء. أما كلمة (ها) فيستعمل سريانية بكثرة بدلاً من نعم، حتى أنهم يتحمون على من يقوم: نعم، وهنا هذه تستخدم في النداء والجواب في السريانية أي بمثاني يا ونعم. وكلمة (ساف) بمعنى انتهى سريانية، يجوزها على أن تكون من سف استفًا، ونحوه عليها لتكون كذلك. والكتابة تقول (ليته) أو (ليته) وتنصوها من أي الاستفهامي وماي الاستفهامي. وأي مثى لا تصح أن تكون أصلاً لهذا اللفظ، وهي لفظة سريانية بمثاني مثى، أما لأي مثى المزعمية فلم تثبت عروبتها في نص أو شاهد. والجواب على: يمه لهسه أي: للآن وإلي الآن.

وظهر تحت العربي لا يحتاج إلى لام ليؤدي معناه، ولكننا نجد البعض يقولون: لتحت، وهي سريانية تعني تحت، فقط.
أما كلمة (منة) وهي سريانية فتعني منه، وليس مشددة النون من الفصيح، إنما هي أصل هكذا في السريانية. وكلمة (بثر) سريانية تعني بعدي، وبثر: بعد، فيقولون نجمه بثر نجم حسبتهم. أي نجمة بعد نجمة حسبته، وتعني كلمة صد أو سد السريانية: بـ (بـ) وقول العامة: كاَسُ بـ البـ البـ البـ الخاطر، وقولون: ألا وَلا (إلى). وتعني إذا، ثم نتصورها تحريفاً: عن إذا بديل الذال لام، الواقع أنها بهذا الشكل تلفظ في السريانية، وتعني إذا، وليس هناك إلا غيرها. ولدينا كلمة (الله) ليست اسم الجلاله، وإن كانت بنفس اللفظ أو: الأ بتخفيف اللام، وتعني بها لكان، وهي سريانية الأصل. كذلك الحال بكلمة (كد) السريانية التي تعني حيث وحيثا المستعملة في العامة: كد أكتب. وبعضهم يقولون كاذب أكتب، وحتى كاذب أرخص، وبعضهم يختصرها كاذب، يقول: كاذب أو ديكتب، والمعنى: إذ هو يكتب، وحيث هو يكتب.

ومن الملاحظ في العامة (التدنية باللام) للفعل الماضي أصلًا: فيقولون: كَتَبَهَ الوَلد شفته نخوته، واللام هذه تتصل بالفعل به في السريانية للدلالة عليه وتمييزه. ويعدون الفعل في السريانية أحياناً باللام والضمير المناسب، مثل: جالس خطأ، وجالس نزول. كما نستعمل كلمة (أكَّل) وهي فعل أمر من أكل، وهذه نفس صيغة الأمر للفعل في السريانية. وتميل العامة إلى البقاء في إعلان وإيدال الفعل الناقد المتصلا بتاء الفاعل: غزنت ودنت وسمست (غزوت ودنت وسموت) ذلك أن العامة تتبع السريانية للفعل الناقد. ونلاحظ أننا لا نبدل الصاد زايًا في العادة، كما نبدل القاف كافًا، ومع ذلك نقول: زغير بـ، بدلاً من صغير وهي كلمة سريانية وحسب أن الصاد فيها مدلة بزاي.

المقارنة بين هذه الكلمات كبير جدًا، بين الأصل السرياني والعبري، لنورد بعض الكلمات في ذلك قبل أن ننقل الكلام في عاميتنا ونسبتها إلى السريانية.

نحن في حياتنا اليومية نستعمل كلمة (ست) وهي التي تعني السيدة أو الآنسة المعلمة، وهي ليست عربية أصلًا إلا أن الفيروزبادي أجهد نفسه بتفسيرها فقال (ستي) تقال للمرأة، أي يا ست جهاني: شرق وشمال وجنوب غرب وفوق وتحت، وهو تخريج مضحك لكلمة كَتَبَتَهَ الوَلد نتم به.

إن السريانية لا تهزم الآخر، فيقولون قرأ، وهذا كل ممدوح ومهمز الآخر، وقص على ذلك في تشطيب الهمه والمتأخرة كمثل: نجاء، نجله وسماء سمه، حتى قيل

(1) لميزة عباس عمارة: رواسب السريانية مرجع سابق ص 258
في المثال (سمة ونهج ويلة ظلماء) أي سماء ومهل ويلة ظلماء. وكذلك كسر حرف المضارع مشهور في العامية، إذ يقولون: يدرس وينكتب، يلعب، وهذا سرياني، والتـأرجح بين حركتين كما في يوم وبيت وزوج متبع في السريانية، حتى أنهم يكسرون الألف، ويصبع علينا أحياناً قراءة الكلمة الأرامية أو السريانية للخلط بين كسرتها وفتحتها، وبخاصة في أواخر الكلمات، والابتداء بالسّاكن متبع في السريانية، وهو كذلك مألوف في العامية كقولهم: انشاده، الحب، أحسين، أحمد، ونقول ابني بكسر الهزة بـدل ادـنی آرامية، ادئي واسم الفاعل من غير الثلاثي مكسور العين في السريانية مطلقاً مثلّ اللفظ العامي: متمدن، متعلب.

مع كل الذي ذكرناه، فإن اللغة العامية التي نتناولها لم تكتف بأن تكون كلمات من السريانية بل أقتبست أشياء من خواص هذه اللغة، ويمكن تقسيم آثار السريانية إلى ما يلي:

ففي الآثار الصرفية تسكن العامة أواخر الفعل فتكون (أَرْكَ، كتَب، ياكَ) خلافاً للعربية وتبناً للسريانية. ونلفظ الأعمال التي على وزن فعال وتفاعل بصورة إتفاق وإتفاق:

فتكون إنكسر، وإنقار عرض تكسر وتقاطع، وهذا يشبه السريانية. وتتبنا حرف العلة في صيغة الأمر من الثلاثي الأدوات، فتكون (نام) و(ب) و(ترب) بدل أن وعاء وترب. وهذا ينافي العربية ويوافق السريانية. وتأتي أسماء الآلة في العربية على وزن مفعول ومفتعل غالباً، أما في الدار في على وزن مفعول كقولهم (معول) و(مجرفة) و(متهب) على مثلّ اللغة السريانية.

ونرى العامة تسافر، ولو نادراً، بالواو والثوبن كما في السريانية، كقولهم (زْبَّيزون) بدلاً من السياح للحب، و(ثرون) بدلاً من تحسين في تحقير بس، و(حمد) تصغير حامد، وهو اسم علم. وتأثير السريانية أيضاً كثيراً ما يبدلون الواو ياء في الأدوات أو أوائي فيقولون (فَيْن) و(تَيْن) في قول واو ونوم، وبعضهم لا يخلون فيه بل يقولون على وجهه العربي التام.

وتنتبغ من القواعد العربية أن الفعل إذا تقدم الفاعل لا يطابقه في الجمع والضعية بل يبقى على أفراده، أما في الأرامية السريانية فيطابقه في الإفراد والجمع. وقد تابعت العامة القاعدة السريانية فتكون: راحوا أخوتي، وكان الأجرد أن يقال راح إخوتي. وهذا النوع من تأثير الأرامية السريانية وقع في القديم للعرب المختلدين بالأقوام الأرامية كـى عرب الحيرة وشمال الحجاز، وعرفته النحاة وسمته: لغة أكلوني الإبراهيم(1).

---

(1) د. داود الحلبي الموصل: الآثار الأرامية في لغة الموصل العامية مرجع سابق ص. 2.
العامة يسكونن أحياناً أوائل الكلمات، وهذا كثير في السريانية، أما في العربية فـلا تبدأ الكلمة بساكن قط، وذلك بقولهم كـبـير في كبير وحـصن في حصان، وغـيـون في غـيـون.
ولا ضابط في هذا الخصوص فإنهم يسكونن أوائل بعض الكلمات ولا يسكونن الآخر.

بعض الكلمات السريانية المتداخلة ويجنبها لفظها باللاتينية

إن اتساع تداول اللغة السريانية في حياتنا اليومية كبير بحيث لا تنسى له مجلدات،
ولهذا سنورد نماذج أخرى لهذه اللغة العظيمة المتداخلة في حياتنا اليومية مع إيراد اللفظ
اللاتيني لها للتؤكد مما سنورد أخذين بالملاحظات التي وضعها البطريرك أغناطيوس
يعقوب الثالث لذلك في كتابه (البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية).

تراعى في اللاتينية الشدة بحسب اللهجات الشرقية لاتفاقها واللهجة العربية، كما يستعمل
حرف Q للفظ، ويستعمل حرف H للحاء، وT للطاء، وصافحة Sq للشين، ويستعمل حرف Ch للشين، وـTb السريانية.

بذلك، كالقول - على سبيل المثال: Tba طائفة وحاء أي أن T باطنة بالنسبة للشين
E إذا جاءت مكسة، W في حاء، كما يستعمل الفرنج A للفظ، O إذا جاءت مكسة، مما تستعمل الفتحة الشرقية حفاظاً على تركيب الألفاظ، فيما عدا
فعل الماضي في الأجوف، تميزاً له عن المضارع، وأحياناً في فعل الناقص أيضاً.

ويلاحظ هنا بعض الألفاظ السريانية التي دخلت العربية عن طريق حرفي P وQ أو
الألفاظ التي دخلت العربية عن طريق قلب الجيم إلى حرف الكاف أو القاف، والألغاز التي
دخلت العربية بالنون عن طريق الشدة الشرقية، ويلاحظ كذلك أن الألفاظ الأساسية في
العربية وهي: الزاي، السين، والضاد، تضاف إليها في السريانية الشين أيضاً. والحرفاء
الطقسي في العربية هي التاء، الدال، الواو، وأما في السريانية فتضاف إليها اللام والتون
أيضاً. والحرفاء القيقية في العربية هي: الهمزة، الحاء، الإلواح، العين، القاف، وإلواح، أما في السريانية، فهي الهمزة، الحاء، الحاء، العين، والرئة. وهناك مـشـكلة هذه
الحروف، اختفت لفظ كثير منها في اللاتيني اختلاف لفظ شعبنا الطبقية بها، حيث
أصبحت الزاي في اللغة الواحدة سنناً أو شيتاً أو صاداً في اللغة الأخرى وبالعكس، والتهاء
دالاً أو طاء والعكس، والحاء والعين أحياناً هاء أو همزة.

ويلاحظ كذلك ألفاظ جاءت سنناً في العربية، أو جاءت صاداً ضداً، أو طاوهاً...
وهنالك ألفاظ كثيرة في العربية، وهي: قافاً، والباء، وحاء، وعينها غيناء، وتمكينها مثل إدال الراء
بالدال والعكس، والباء بالمي، والميم بالدل، والتون باللام.
هذه الكلمات أتت معاكسة تماماً لمعناها في الأخرى من حيث المعنى، فكلمة
بمعنى الخيز، على حين أن لفظة اللحم العربية تعني غير الخيز، أو اللول (صغيرة) بدلاً
من صورة، أو حروف حروف من الألفاظ مثلي
kahta، Imina

<table>
<thead>
<tr>
<th>Ma'arta</th>
<th>Kmas</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>Tegrit</td>
<td>Sab</td>
</tr>
<tr>
<td>Palatin</td>
<td>Srad</td>
</tr>
<tr>
<td>Pchita</td>
<td>Swi</td>
</tr>
<tr>
<td>Makka</td>
<td>Tabba</td>
</tr>
<tr>
<td>Hirta</td>
<td>Rbaq</td>
</tr>
<tr>
<td>Paya</td>
<td>Hala</td>
</tr>
<tr>
<td>Zevta</td>
<td>Qalha</td>
</tr>
<tr>
<td>Kouva</td>
<td>Nsak</td>
</tr>
<tr>
<td>Gam</td>
<td>Tuyana</td>
</tr>
<tr>
<td>Rghiba</td>
<td>Kababa</td>
</tr>
<tr>
<td>Efara</td>
<td>Qayya</td>
</tr>
<tr>
<td>Ara'a</td>
<td>Choughla</td>
</tr>
<tr>
<td>Bie'ta</td>
<td>Debaba</td>
</tr>
<tr>
<td>Ara'a</td>
<td>Mara'a</td>
</tr>
<tr>
<td>Dra</td>
<td>Burga</td>
</tr>
<tr>
<td>Dra'a'a</td>
<td>Grad</td>
</tr>
<tr>
<td>Githara</td>
<td>Gar</td>
</tr>
<tr>
<td>Tawba</td>
<td>Hougban</td>
</tr>
<tr>
<td>Tarzun</td>
<td>Taggen</td>
</tr>
<tr>
<td>Zibaq</td>
<td>Souga</td>
</tr>
<tr>
<td>Geza'a</td>
<td>Fargi</td>
</tr>
<tr>
<td>Hsan</td>
<td>Sanga</td>
</tr>
<tr>
<td>Sgar</td>
<td>Ragla</td>
</tr>
<tr>
<td>Saybar</td>
<td>Taga</td>
</tr>
<tr>
<td>Qatifta</td>
<td>Limsa</td>
</tr>
<tr>
<td>Beroula</td>
<td>Kbar</td>
</tr>
<tr>
<td>Qalma</td>
<td>Kwa</td>
</tr>
<tr>
<td>Mayzara</td>
<td>Melaa</td>
</tr>
<tr>
<td>Mara</td>
<td>Sbaba</td>
</tr>
<tr>
<td>Sitla</td>
<td>A'ayna</td>
</tr>
<tr>
<td>Elaya</td>
<td>Sba</td>
</tr>
<tr>
<td>Sda, Sdi</td>
<td>Soura</td>
</tr>
<tr>
<td>Qab</td>
<td>Gaba</td>
</tr>
<tr>
<td>Assel</td>
<td>Sram</td>
</tr>
<tr>
<td>Rmaze, Remza</td>
<td>Tamtem</td>
</tr>
</tbody>
</table>
كلمات سريانية انتمت بالعربية وتعتبر مستعربة:

المؤمن، النبي، قربة، دير، دفتر، مدينة، سكينة، بنى، بنيناء، آمن إيماناً، بارك بركة،
بشر بشارة، تاب توبة، سجد سجوداً، صلى صلوة، صام صوماً وصياماً، عرب، عربية،
عراش، فاروق، عمارة، مقاليد، عيد، حج، ثورة.

كذلك كلمات: اش، رمضان، اللهم، قدوس، قيوم، المسيح، روح القدس، قدس.

وأيضاًً ما ينتمي إلى النون: نصراني، رهابي، جسماني، روحاني.

وألفاظ مختومة بالتأية الطويلة: ناسوت، ملكوت، لاهوت، جبواوت، كهنوت، حانوت.

وأسماء شجر ونباتات: رمان، زيتون، زمرود، كمون، بطيخ، وغير ذلك.
الألحان السريانية السورية

حين يسمع أحدنا الألحان السريانية يكون في صلاة وابتهال، ومع شفافية هذه الألحان نكون في اتصال مباشر مع الكون وأسراره. في لقاء مقدس مع الخالق.

السر في الألحان السريانية أنها لا تدفعك إلى التصفيق بل إلى الصمت والتأمل والخشوع والوقار، لأنها تنقلك إلى نورانية باهرة حتمت على نفسك السجود، فتشعر عندما بالفرح والسعادة والطمأنينة والهدوء والسلام. تشعر أن ذلك المخلوق الذي يلمس طريق المعريفة ليتيين نفسه ويدرك حقيقته أمام عظمة الله.

الألحان السريانية وجلها ألحان كنسية نوحي لنا باصعود نحو فيردوس ذي صبغة روحي متزايده مع غزو الإنسان سمه الروحية الخاصة، وهذه الوظيفة التي هي بآن واحد وظيفة كونية وأخوية ونفسية وعلاجية، وظيفة تصعيدية.

والصلة بين الألحان السريانية والأرض السورية كما هي صلة الأم مع طفلها، من الموضوعات التي تعنينا بوجه خاص، ومن الواجب لفهم هذه الصلة فيما كاملا، أن يكون المرء على جانب من العلم لا بتطوير الموسيقى العربية، بل أن يكون كذلك على علم بحالة الثقافة والمجتمع في سورية إبان العصر الأرامي السرياني، حيث النغم هو حضور، إنه كالفعل، يخلق نفسه في اللحظة بحركة حالية، لكننا نخيل إليه في عالم إذا حضرناه في الأديان المحضة. إذ لا يوجد إلا نسبة ما ترتبط في استمرارية لتنقش سلسلة توجيهات المتعاقبة التي لا تستطيع أن نسمعها ونفهمها مالم نجمع في حلقية واحدة ما تم إنجازه، وماينجز، وما سوف ينجى، والتي لا نلاحظ انماجها هذا لأنها قريبة من الفكر لدرجة أنها تقيم أي تمييز بينها وبينه. إن أصداءها الراهنة تتبعت بسهولة إلى أصدائها السابقة بما أنها معاصرة لذكراها الخاصة التي هي أيضا نغم. إننا لا نرى الحاضر يصبح ماضيا لأن القبل يستمر في البعد، اللحن الحالي يجري في داخله على كل الألحان السائقة التي يستمد فيها معناه، مثلا أن نحن نستجدي بكل تاريخنا الغاب، الموسيقى هي دائما علاقة بين ذكراء ونسينيان، بين حسيرة ورغبة، بين حنين وأمل، بين تملك وانتظار، وواسطة العقد بين ما أتى وما لم يبدأ بعد.
ماهية السلام الموسيقي السوري

تم وضع السلام الموسيقي السوري التاريخي من الألحان الثمانية التي تستعمل في الكنيسة السربرانية الأسقفية، ومنها اكتسبت جميع الألحان الموجودة في العالم، والتي تكلّم عنها وقدرها الموسيقار الكبير (الفارابي) حوالي 3000 لحن.

وتبقى الألحان في الكنيسة السربرانية على القبيرة الموسيقية التاريخية الخالدة ذات الأورتر السبعة أساساً، وبداً اللحن الأول على الورتر الأول، وهكذا تدرجياً إلى الورتر الإضافي، والحال الفلمات الأصلية الأساسية، كانت اثني عشر حننا حسب ما جاء في مؤلفات ابن العبري في كتابه (الإيثيقون)، وقد اختصرت إلى ثمانية ألحان. وقد تم تحويل وتبديل أسماء هذه الألحان من اللغة الآرامية إلى اللغة العربية على الشكل التالي:

المقام الأول هو المقام البياتي باللغة العربية، وكلمة بيات المشتشة من كلمة بيات (بيات) التي تعني نزل ليلة، أو ادركه الليل، أو دخل بئته، فهي بهذا المعنى لا تعطي صفة موسيقية فنية، ولكنها معرفة من السربرانية (بيان) الموسيقية فنية، والسروانة التي تعني (عزا، سلي، سررور، ترجهم، إلخ) إن هذا المعنى يعطيها صفة موسيقية واضحة.

المقام الثاني هو باللغة العربية المقام (الحسيني)، كذلك فإن هذه الكلمة المشتشة من الحس والتي تعني الجمال، لا تعطي ذات الدلالات الموسيقية كما هي السربرانية حيث تعني (الترفق، الرأفة، الحنان، الرجمة، العطف، الشفقة) ولهذا المعنى دلالات تتساوع مع هذا المقام.

وقد جاء اسمه من اسم مدينة مغمسورة الآن في بلاد الرافدين، ومنها جاءت كلمة (العراق) كما تلفظ اليوم، أما الاسم في الموصل فإنه يلفظونها كما في السومرية (إراض)، وقد كانت هذه المدينة عاصمة الدولة في المعهد السومري والأكادي، ولاتزال أطلالاتها باقية حتى اليوم.

المقام الرابع وهو باللغة العربية المقام (الرصد) وقد حور من قبل الأنطاكية نقلأ عن الفارسية إلى كلمة (رست) وتعني المستقيم، وليس لهذا المعنى أي صلة بالمقام المستقيم وهذا لا يعني أي صفة أو دلالة موسيقية، أما ترجمته بالآرامية فتعني (إدرج، قدر) ثبت، مكن، أصلح) مما يظهر الدلالات الموسيقية المميزة له.
المقام الخامس (أوجو) ويسمى بالعربية أوج أي الأعلى، أما معناه بالتركية فهو الرأس الحاد، وفي كلا الحالتين لم يعط هذا المعنى الدلالات الموسيقية لهذا المقام. أما معناه في السريانية (الزهر، الريحان، الميس، وهذه الكلمة، تفسر بالخمرة وهي في السريانية تدل على نباتات عطرية ذات رائحة زكية)، وهو بهذا المعنى يعطي دالة موسيقية واضحة وأكثر انسجاماً مع نوعية موسيقى اللحن أو المقام.

وتلفظ بالمصري (أجم) ويعني الغريب، الغريب، وقـد طوي معناء التركي حتى في اللغة العربية حيث يعني بلد فارس، وهذا المعنى لا ارتباط له مع الموسيقى، أما في اللغة الآرامية القديمة فمعناه (ر조، هبوط، تقف، إلخ) فإذا عرفنا أنه موسيقياً يبتعد من مركزه الأعلى ثم يتفرع رويداً إلى قراره لتوضح لنا معنى الآرامي موسيقياً وبيان سبب تسميته الآرامية بهذا الاسم.

إن كلمة (صب) باللغة العربية تعني النسيم الشمالي الرقيق، وقـد يكون لهذا المعنى ارتباط موسيقى لكنه ضعيف، بينما ترجمته السريانية التي تعني (فَرْج، سرور، أراد، شاء، صفاء)، تظهر ارتباطه بالموسيقى أكثر. وهذا المقام مفضل عند السريان خصوصاً في مراسم موت الشهداء الأبرار والكهنوت لكونه لحن حزيناً ذا خاصية مميزة.

المقام الثامن حاجو (حاجو) وهذا هو اسم بلاد السعودية القديم حيث كانت تعرف باسم (حاج) وقد أضيف حرف الزاي إلى الكلمة خلال الحكم العثماني الطويل فسميت حاجو. وكانت مكة المكرمة قبلة الشعوب والقبائل المجاور لها حيث كانوا يحجون إلى كعبتها، وقد انتقلت هذه المظاهر إلى العهد الإسلامي حيث أكد الدين الجديد على قدسية الكعبة الشريفة فأصبحت مكة المكرمة من الأماكن المقدسة يحج إليها المسلمون من كافة أنحاء المعمورة. وقد كان لبلاد الحجاج ارتباط ثقافي واقتصادي مع بلد الآراميين عبر دمشق، ويمكن القول إن هذا اللحن قد انتقل من بلد الآراميين إلى الحجاج، وقـد أعجب المسلمون بالمقام الثامن فجعلوا الآذان معتمداً عليه، وفي مصر فإنهم استبدلو الآذان بالمقام الرابع وهو الراست.

(1) جبران أسعد: الموسيقى السورية عبر التاريخ، حلب 1990 دون ذكر اسم الناشر ص 21.
هذه المقاطع التي تمثل عماد الألحان السريانية العربية، ولكن اللحن الكلاسيكي يبقى هو الأساس، والأساس هنا حاجة إلى الشعر الذي يستقيم مع اللحن وهو باب التأمل في المعنى الباطني للحياة الإنسانية والصلة بين العالم الطبيعي والروحي، إذ هي مجرد شذرة منه، وما يدعو إلى إيراد فنون الشعر عند السريان، هو إغراء القارئ بإكمال الدراسة الموسيقية السورية، محاولين الربط بين حقائق تاريخ الموسيقى، وتاريخ الروح الإنسانية، والحضاراة السورية في مظاهرها المختلفة، إذ أن ذلك أثراً بالغاً على شخصية هذه البلاد.

وهناك عشرة مقاطع للشعر عرفت في الكنيسة السريانية التي أبقت هذه الألحان إلى الآن وهي:

الميامير والموشحات: فهي القصائد المتساوية بالدعائم والعناصر، ومن أشهر مؤلفاتها مار أفرام، ومار يعقوب السروجي وغيرهما.

الموشحات: وتتألف من دعائم قصيرة، أما أبياتها فطويلة، وجاءت على الأغلب بشكل حوار، وهذا دعيت بالموشحات، وأول من صنفها بريديسان وأسو ومار أفرام، ومار اسحق ومار بالاي.

السبيل، السلام: أطول من أبيات الموشحات وهي تتألف من دعائم متغيرة، وعناصر مختلفة، وأشهر واسعيها مار يعقوب السروجي والرهاوي وغيرهما.

الانتهادات: وهي متغيرة الدعائم والعناصر عامة، وكثيراً ما تأتي في كلام التنذهات فتصوغ الانتهادات، وأول من وضعها مار ابولا الرهاوي (645م).

الحجاب: وقيل إنها سميت بالحجاب لأنها ترتبط من وراء الستار، أما مؤلفها فغير معروف.

القوانين اليونانية والسريانية: وهي تسامح تشيد في صلاة الصباح على عرار تسامح موسى والأنبياء الآخرين، وعلى الترتيب والطوابق في الإنجيل.

ومن نقل عن المؤرخ الشهير مار غريغوريوس ابن العبري أن وضعها أديب دمشقي اسمه قوريني بن منصور في القرن السابع الميلادي، وما كان قوريني من المجمعين حيث نشبت الخصومات التي أحدثت الانشقاق لم يتأت على ذكرها في قواطعه، لذا بدأ في قواطعه تدخل الكنائس بالشرق والمغرب.
أما القوانين السريرانية فهي تتألف من المزامير ... ارحمني يا الله ... وإليه آلهتي.
انتظرتك، وسبقوا الرعب تشبجة جديدة لأشعيا.

القوقيونيات: وهي ألطف نوعاً من القوانين، وهي آيات من المزامير تخللها لفظة (هليوبية).

القصائد والردات: ومنها ما كانت متساوية الدعائم، ومنها مختلفة كما قال ابن الباري،
ففي عصر المجمع الأفسي كان القوقيون قد غالوا في مخافاة الله وأفاضوا بالروح,
وأشروا الردات الكثيرة.

الأغاني: هي مقاطع غنائية بني عليها أفكار صائبة، وأول من وضعها باليونانية هو مار سوبروس الكبير بطريرك أنطاكية ثم نقلها إلى السريرانية مار بولوس الرهاوي، وهو في جزيرة فرسان، ووضع مثلها في ذلك العصر باللغة السريرانية، مار يوحنا ابن افتونيا رئيس دير قدسرين وغيره.

الجلسات: وهي تراثا ترث في الاحتفالات بنغمة طويلة.

وتبقي الدورات: وهي تراثا ترثها كنائس الشرق عوضاً عن الكنائس اليونانية والسريانية التي تستعملها الكنائس العربية.

اللحن مع الشعر يجسد ضعف الماضي ويوقظنا بما أحلام البقية، وفي عالم الاجتماع الفردوس نرى أن بعض الأساطير تتردد أحياناً، كما هي الحال في مصر أو لدى الأرمن،
بين تمثال الشمس في الذهن وبين رسمها السماوي. وفي كثير من الأحيان يصبح الصعود مع الكوكب المنير وفاً على القديسين والأبطال، وهو يزيد سماة إجلالة وتجسيد المصير السماوي وعندما يلتح وجه الدقة على استعارة الصعود. وفي الرسم الكوني للتنظيم التنفسي الذي توحى به التجارب التي أجريت على أحلام البقية، يقترن الصعود إلى السماء في اللا شعور بالاستيلاء على (ما فقف الآنا) أو، إذا استمرنا لغاية بعض علماء التحليل النفسي الآخرين، إنه يقترن بالاستيلاء على (الذات) وهي قد تكون لجأاً مثالاً، حالاً قصوى للكائن الروحي الذي يقابل إلى حد كبير ما كان الأب تيارد شاردن يعرّفه على أنه الحد الأعظم
لإضاءة الصبغة الإنسانية.

(1) المطران يوحنا دولباني: الشعر عند السريان ترجمة عن السريانية الأب برصوم بيوسف أيوب نشر
ومهما وصفنا اللحن السرياني السوري، مع فنون الشعر التي جسدته من خلال طقوس الكنيسة فإن من يسمع ذلك سوف يشعر مدى تغلغل الماضي في أعماقه حيث يسهو بالروح الحب الكلي الذي يشعر به الإنسان بصورة غريبة نحو الذات وذلك عندما يحس به نحو الإنسان الآخر، بل وعندما ينتقل ذلك الشعور إلى هذا الإنسان الآخر.

وخير من سحرته الأنشاذ والتراتيل السريانية آديب عربي كبير هو (جبرى إبراهيم جبرى) حيث خدم بالكنيسة ورث الآنساذ السريانية و(جين أبه وتزوج جبرى إبراهيم جبرى من (لمعية) إحدى جميات قبائل بغداد وهي مسلمة، أقدم من أجل ذلك على التحول إلى الإسلام وهو ديانته المسيحية غير عابي، مشاعر أسرته ويبقى عليه من طقوس مسيحية ظلت رغم إسلامه تظهر في روائه وسلوكياته التي نجدها في رواياته ودراساته النقدية مما يدل على سمة من سمات شخصية وفكر جبرى إبراهيم جبرى، فهو لم يسلم قناعة بالإسلام بل من أجل حب وزواجه((1)).

يفصح جبرى من خلال سيرة ذاتية هي من أروع ماكتبه آديب عربي عن طفولته التي علمه بها معلم وحيد في مدرسة السريان الأرثوذكس في القدس هو المعلم جريس(2) الذي درسه العربية والسريانية والإنجليزية، وهو شمام كنيسة السريان المتميز بصوته الرخيم (حتى أنه يحوال القداس صباح كل أحد إلى جنة صغيرة من عذوبة الترتيل) (3).

ويشرح جبرى ماهية اللغة السريانية التي تعلمه وأين كان ينطقها قائلاً:

اللغة السريانية التي علمنا إياها المعلم جريس، كانت في معظمها أنشاذ وتراتيل تعود إلى أزمان سفيقة في القدم، لحنها أبناء الكنيسة الأوائل في أنطاكيا ودمشق والقدس والرها ومدن وادي الرافدين، وفق مقامات كان الشماسة يتقونها وقد لقنا المعلم، يساعدنا في ذلك الجميل رهبان شباب من دير مار مرسق بالقدس، أو من الموصل، التنوعات المعيبة لكل لحن أساسي، أي أن النغم الواحد له سبعة ألحان أخرى ينوع بها، حسب أيام الأسبوع، ومواسم الصيام، والأعياد، وكان علينا أن نحفظ ذلك كله سوياً، بدون التدوين الموسيقي الذي عرفته ألحان الكتاب فيما بعد، وكان المعلم يشرك منا من رخم صوته وحسن أنفسه في إنشاد الألحان في الكنيسة.

---

(1) عبد الرحمن أبو عوف صحفية الأهلي – القاهرة 26/1997 ص 12
(2) جبرى إبراهيم جبرى: البئر الأولي، فصول من سيرة ذاتية دار رياض مرس للكتاب والنشر – حلب 1987 ص 46.
(3) جبرى إبراهيم جبرى: البئر الأولي، فصول من سيرة ذاتية مرجع سابق ص 49.

98
وفيها بقام، على القاعدة الأمامية من الهيكل محملان الوادح إلى اليمين والآخر إلى اليسار، وعلى كل منهما مخطوطة ضخمة، لا يتذكر أحد متي خطت قدمها. كانت هذه الكتب السريانية القديمة كنزاً تحتفظ به الكنيسة بعناية خاصة واعتزاز كبير. أوراقها سميكة جداً، وبعضها من رق الغزال، ولن ترفع إلا بشيء من الجهد العضلي لنقلها وحجمها وخطوطها بالحبر الأسود بالنسبة للمنطه، وبالحبر الأحمر بالنسبة للإرشادات والعناوين التي تتعلقها، ولو ضاع كتاب منها لاستحال التعويض عنه لندفة الخطاطين السريانية في عهود متعاقدة من الأمية المتزايدة.

يقسم الكورس إلى نصفين، وكل نصف يلفت حول محمل، لتكون الثلاثة المرتبة بالتناوب بينهما، ولشدة ظلام الكنيسة (لم تكن بعد زوادة بالكهرباء) كان أحد المرتلين يمسك شمعة يضيء بها النص الذي ينسبه نصف الكورس، والمرتلون يتحركون حول المحمل وبالتالي تكون الكتابة بالنسبة لبعضهم، مقابلين لهم، مقروبة تماماً. ولذا كان علينا أن نستطيع القراءة بالمقلوب، إذا أ قضى الأمر، وأقبل ما يتيسر لنا من ضوء، وكثيراً ماً وجدتني أرفع من الأرجل - لأنني في الأغلب أصغر أفراد الكورس - لأخذ مكاني حول المحمل حيث يتوجب علي أن أقرأ بالمقلوب.

وكان أنني تعلمت أن أقرأ أي نص بالسريانية أو العربية، عدلاً، أو بالمقلوب، ولا فرق! ولكنها، لا فخر. فراقي المرتلون كلهم تعلموا أن يفعلوا ذلك أيضاً. والقليل النادر منا من كان يفهم تلك النصوص، أو حتى بعضها، لقد كنا في الواقع نصي بلغة مغلقة في معظمها دوننا، رغم قدرتنا على قراءتها عدلاً، جانبياً، أو بالمقلوب، في الضوء أو العتمة.(1)

إن ما صوره جبرا إبراهيم جبرا للألحان السريانية، وكيف تدل مما لا يمكن أن ينساه من رأي هذا المنظر وسمع هذه الألحان، وله هذه الذكريات كانت تلاحق هذا الأب في كل مناسبة يستمع بها إلى قطعة موسيقية، وهو في رواية أخرى، وكان على ظهر سفينة ومكرات الصوت تبت الأذان، يصف مشاعره قائلًا: ((للميلاد الجديد، كالقيامة بعد الموت، معان تشتمل لهذا الليل الماطر المقرر، لهذه الأناشيد الكورسية القديمة، معينة ديمومة المدينة عبر الحقب الطوال، لعل في بابين الصور ناراً ترفض أن تخدم، كما في البعض منا. فهناك نار قد تهبط على الواحد منا منذ الصغر، فلا تتحرك أثاث كجروح المسيح في

(1) جبرا إبراهيم جبرا: البتر الأولى... فصول من سيرة ذاتية مرجع سابق ص 55 و 59.
الديد والقديمين، ولكنها تحظى في القلب لتبقي مضطربة فيه إلى الأبد، كما في باطن الصخرة (1).

ويعتبر الدين من المصادر الرئيسية للإحساس الفني والابتكار، كما أن الفن وسيلة أساسية من وسائل التعبير عن التفكير الديني، وفي جميع أرجاء العالم، من معابد الصعيدين إلى تماثيل المكسيك، ابتدأ الفنانون أكثر الإنتاج الفني قوة وجمالاً تيجالاً للأخلاق، ومن المحقق أننا لن نستطيع أن نفهم أي دين، في قوته أو ضعفه، بغير أن نقدر الفن الذي أوجه به لعبادته، فإن الترتاب والبطولات القوية البسيطة التي تتلاشى بها الكنيسة السرية، والمذابج ذات الزخارف الضخمة التي تتلاشى بها كنائس الرومان الكاثوليك والصور المصنوعة من الفسيفساء بكنائس الروم الأرثوذكس - هذا على الأقل بالنسبة للديانة المسيحية - كل هذه الاتجاهات تعبر عن ثلاث وسائل مشروعة للدنو من المسيحية (2).

وإذا كان مؤرخو الغرب يرون أننا لا نستطيع بتأريخ الموسيقى يبدأ بموسيقى الكنيسة المسيحية في أواخر العصر الوسيط لأن معروفتنا بموسيقى العصر القديم في مصر وفلسطين وفارس واليونان مستمرة، ولم لا يمكن وصفها بأنها تاريخية (فمما لا شك فيه أن الموسيقى، إذا قورنت مع العصر النبوي والنوح والمورمون، قد كانت ذات مكانة ثانوية، وشاركتها التصوير في هذا المرتبة. وربما فسر هذا السبب، السر في عدم عناية العصور التالية بالمحافظة على الموسيقى مثل عنايتها بالشعر) (3).

ومن هنا قد تكون الكنيسة السرية التي ركزت على اللحن والشعر في أداء طقوسها من أهم ما بقي للعصر الحالي من تراث جعل اللحن والشعر من أعمدة الصُدُوَات بها وبالتالي أبقى اللحن الكنسي أثر الألحان السرية السورية.

(1) جبرى إبراهيم: جبرى: السفينة رواية دار الأدب - بيروت الطبعة الثالثة 1983 ص.49.
(2) سريج بيرت: علم النفس الديني ترجمة سمير عبده دار الأفاق الجديدة - بيروت 1985 ص.80.
(3) هوغو لايكنتيتز: الموسيقى والحضارة ترجمة أحمد حمدي محمود مؤسسة الموسومة المصرية العامة للتأليف القاهرة 1964 ص.29.
إحياء الثقافة السريرانية

لا يعني إحياء الثقافة السريرانية إحياء الميت، فهذه الثقافة موجودة بيننا، متزاوجة مع الثقافة والحضارة العربية، زواجاً أبدياً سرمداً. يبد أن الحديث عن هذه الثقافة هو تذكير بتراث غال نفيس، وأثر روحي خالد، خلفنا لنا آباؤنا وأجدادنا في العصور المختلفة الغابرة. تميزة بسمة أفلاقها، وورحب أجواءها وخصب حقولها، ونفاسة نتاجها، واستمراد عناصرها ومقوماتها من ثقافات عالمية رفيعة، وسمو مكانتها في تاريخ الفكر العالمي عامة والشرقي خاصة.

وكان الثقافة السريرانية يوماً لغة أمة عظيمة ساكنة في قسم كبير من أرض آسيا... أي بلاد الشام مع جزائرها والجزيرة والعراق وآثار وما يجاور هذه البلاد إلى حدود بلاد الفرس شرقاً ولبنان الأرمن ولبنان اليونانيين في آسيا الصغرى شمالاً وحدود بلاد العرب جنوباً. وكانت هذه البلاد كلها يقال لها عند اليهود آرام لأن آرام بن سام هو الذي بنانا وعمرها بنسله.

وكذا ورد اسمها في العهد القديم المكتوب في العبرانية (2 ملوك 18: 26

وأشعياء 26: 11 ودانيال 2: 4 وعزرا 4: 7).

وقد بلغت الحياة الفكرية السريرانية في عصورها الذهبية شأوًا كبيراً من النضوج والازدهار في مختلف فروع العلم والعرفان وقننه، من دين وأدب وفلسفة ورياضيات وطبِّعيات وطب، تخلخلها ألوان من التفكير الفلاسفي المتكرر الرفيع، وصور من الأدب القِيم البديع، ونماذج للعلوم الدينية منقطفة النظر تشهد لها بذلك المؤلفات الكثيرة القيمة. ويرجع ذلك كله إلى احتكاك السريران بالشعوب المختلفة المذاهب والقوميات كالفرس والهنود واليونان والعرب وتأثرهم بآدابها وعلومها.

وعلى سبيل المثال هناك تصيدها الفردوس المفقود، تلك الملحمة الخالدة للشاعر الإنجليزي الضرير ملون التي وضعت سنة 1272 ليست إلا مصدرة لقصيدة سريرانية

وضعها شاعر سريراني يدعى أسحق الأمدي الملفان كان يعيش في القرن الخامس المسيحي.
إن لسوريا ثلاث ثقافات لا ينبغي أن تعلو واحدة منها فوق الأخرى، وتلك الثقافات هي: الثقافة السورية القديمة الأصلية، ثم الثقافة السريانية وهي ثقافة سورية مكتوبة بالحروف السريانية ثم الثقافة العربية الإسلامية. وإن تسبيث الثقافة العربية وحدها فوق الثقافات الوطنية الأخرى يطفئ في صداق مبدأ المواطنة السورية، لأن من ينفي سيادة الثقافة العربية لا يرى في ثقافات سورية سابقة ثقافة له، مما يعني أنه لا يفكر كسوري، بل كمواطن عربي.

حتى أن البيت العربي دخلت فيه عناصر فارسية أو رومانية أو سورية أو مصرية بحيث يبدو البيت فيه شعوب مختلطة ولكن رب البيت هو العربي (1). مما جعل الوطنية تبدو في أجمل فضائلها في أرض سوريا الطبيعية.

وذكر فيليب دي طرازي نقلًا عن سليم البستاني أن نابليون الأول عندما جاء في أواخر القرن الثامن عشر يقود حملته المشهورة إلى وادي النيل كان يذيع أومره وإعلاناته في البلاد المذكورة مطبوعة باللغات الفرنسية والعربية والسريانية(2) ويرى د. جواد علي أن السريانية هي أصل اللغات وهي لسان أدام وسلام سام بن نوح (3).

إن الشهادات التي أوردناها هي غيض من فيض في شأن الثقافة السريانية وتأثيرها على سورية وعلى أجزاء كبيرة من الشرق الأدنى وعلى الثقافة العربية، (العودة إلى التاريخ هي بالنسبة لي ضرورة منهجية أساسية في درس الوضعيات، حتى الأدبية منها، للنظر إليها ضمن إطارها التاريخي. وهذه القاعدة تنطبق على كل المجتمعات، لكن بشكل خاص على المجتمعات الشرقية، مسيحية كانت أو مسلمة. فهذه المجتمعات قائمة على عكس المجتمعات الأوروبية، على نوع من التطابق المستمر. هناك عودة دائمة إلى البنى الأولى. وبالإمكان القول أن هذه المجتمعات تبحث باستمرار عن أخذ مستقبلها، من ذكرياتها. وتأخذ مثالًا على ذلك فكرة العروبة، أو الوحدة العربية، فمن أجل يمكن استخراج فكرة الوحدة العربية إلا من ذكرى الوحدة العربية التي تعود إلى حقبة الأمويين وما ينطبق على هذا المثال ينطبق على سواء، وأن احتكاكي بهذه المجتمعات هو الذي أوجى إلى هذه النظرية التي ليس بإمكانية التخلي عنها) (4).

---

(1) أحمد أمين: فجر الإسلام دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الـ 1999 ص 91.
(2) فيليب دي طرازي: السلال التاريخية- مبروت 91، أص 381 تحكي عن تاريخ فرنسا الحديث، سليم البستاني ص 152.
(4) من مقابلة مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك أجرتها معه صحيفة (النهار العربي والدولي) باريس.

العدد 142 تاريخ 18/11/1890 ص 18.
الإحياء مع التغير التاريخي

يتم التغير التاريخي عندما تتجدد الظروف والأوضاع كما هو متوقع من لحظة إلى أخرى تليها، ولكن عملية التجدد هذه لا تكتمل تماماً وإنما تتعرض للتعديل. ويمكن تمييز النمط العام للتجدد، ولكنه يبدو لي样品ًةً فائقاً عندئذ أن النمط قد تغيّر. وفي التاريخ يحدث تدخل يحل دون تكرار أي نمط تكراره آمنًا. ويرجع ذلك في الغالب إلى عوامل لا سيطرة للإنسان عليها. ويختلف الحال بالنسبة لللغة حيث يجب أن يضطغ التداخل لنضم اسم تصريح اللغة كوسيلة للاتصال، فالتشويش هو تغير غير منتظم وغير مترمت. وإذا كان على اللغة أن تحتفظ بقدرتها التأثيرية، يتوجب على المتحكمين بها أن يحصروا عنصر التدخل أو التشويش ضمن أضيق نطاق ممكن، ويمكن تحقيق ذلك عن طريق تحويل السلاسل الانتقائية إلى نبضات منتظمة ترافق عملية الاتصال وتشبه طينًا من صوت ثابت الارتفاع والنغم، وتكون سرعة التغير في اللغة منتظمة لا لسبيلاً لأن الاتصال يقطع إذا كانت وسيلةه ستبتله في شعب مختلفة على غير هدى.

والتطورات الحديثة في نظريات اللغة التاريخية تدعونا إلى إعادة النظر في وضع المنتجات الفنية بوصفها بيئة تأسيسية. فمعظم الوافقات التاريخية هي من النوع الذي يتعرض لتدخلات لا حصر لها، وهذه التدخلات تحرم التاريخ من الإمكانيات المهيئ للعلوم التي يسهل فيه التنبوء بالظواهر المستقبلة. أما التراكيب اللغوية فلا تفسح مجالاً إلا لتلك التدخلات التي لا يعود أنظمةها بالضرر على سبيل الاتصال، وأما تاريخ الأشياء فيفسح مجالاً لتدخلات أكثر من اللغة ولكنها أقل من التي نجدها في تاريخ المؤسسات الاجتماعية، والسبب في ذلك أنه يفترض في الأشياء أن تؤدي وظائف معينة وأن تتقن رسائل معينة، ولذا لا يمكن أن تتحرف عن هذه الأهداف من دون أن تفقد هويتها.

وتعتمد السرعة التلقائية برتبة الأولى على المخلفات المادية من شطابيا الأشياء التي اكتشفت وسط أكاسيد النفايات وفي المقابر والمدن المهجورة والقرى المطمورة، فالمخلفات الفنية ذات الطابع المادي تكاد تكون هي الوحيدة التي عمرت حتى يومنا هذا، وتنفرد دول منطقة البحر الأبيض المتوسط بالإنتاج الخاص بالمسيحي والحديث والطقوس الدينية، وجميع الفنون الأخرى التي يرتبط التنوير عنها بمدة زمنية.

(1) جورج كويل: نشأة الفنون الإنسانية ترجمة عبد المللك الناشف المؤسسة الوطنية للطباعة... بيروت 1960 ص 115.
إن الإحياء مع التغير التاريخي يجعل للحياة الإنسانية سننها وقوانينها، حيث نلاحظ ترابطًا بين مؤسساتها المختلفة، نوعًا من الانظام في المراحل التي تتبعها هذه المؤسسات في تطورها وتفاعليها. لا ينكر مثلاً ما للأوضاع الاقتصادية في عصر من العصور، من أثر في وجوه الحياة الأخرى، أو أن هذه الأوضاع قد اتبعت في تطورها اتجاهاً يمكن تصويره بشكل عام. ولكننا نستن من الذين يقولون بأن هذه السنن والقوانين لها ما للسنين والقوانين الطبيعية من انتظام وتماسك، وبأنا تجزئ لنا التنبؤ بالأحداث المقبلة كما تجري هذه، لأننا نعتقد أن التاريخ من صنع الإنسان فرداً أو جماعة، وأن الأوضاع القائمة تحدد هذا الصنع، وتقييم القوى والسدود في وجهه، ولكنها لا تمكن أن تنفعه مناً تاماً، أو أن تنفعه في أحيان كثيرة عن تجاوز الحدود والقيود، والاختيار بين ما ينفعه أمامه من إمكانات بالرغم منها.

وعلى هذا يذهب قسطنطين زريق إلى أن التفكير التاريخي الصحيح، ليس في عرفنا، تحتنياً جازماً، وإنما هو يسعى إلى إدراك التغيرات والقبلات على حقيقتها، وإلى استخلاص أصولها وعواملها القريبة والبعيدة كما تبدو له بالاستطلاع التاريخي والنظر العقلي. ولمَّا كان يرى من خلال هذه التقلبات والتغيرات أن الإنسان اختياراً وفعلاً وأنه ليس مصيرًا كل التسبير، فإن هذا الإدراك ينتهي به إلى نوع من البقظة والقلق، ويبعث هذا القلق في نفس صاحبه شعورًا حادًا بالمسؤولية ينجلو في كل ما يقدم عليه من فكر وعمل، وبهذا كلّه يرتفع إلى مرتبة التفكير الوعي الفاعل المبدع.(1)

ملاحية الثقافة السورانية

من المعلوم أن أقدم مراكز الحضارة والثقافة تقع في أحواض الأنهار الصالحة للملاحة كالفرات وودة والنيل ونحوها، وقد نشأت هذه المراكز مستقلة في أثر الارتقاء إلى الفلاحية المنظمة في الأودية الكبيرة، حيث يسهل تبادل السلع والأفكار بين الناس. ثم تأثر بعضها ببعض، غير أنه لا يمكن الوقوف على مدى تأثر ثقافة أخرى في هذه المراكز الحضارية، أو تحديد قدر هذا التأثر، ولكن الغريب في ثقافات الشعوب خلال العصور التاريخية أنها لا تثبت على حال، فيما نرى الثقافة في شعب ما تلتزم في إطار عد أجيال، قد نراها تعود القهرى وتنتكس، دون توقع لتمثل هذا الانكسار أو تفسير واضح بين.

(1) قسطنطين زريق: نحن والثأري - دار المعلم لل马拉يين - بيروت 1993 الطبعة الثانية ص 124.
ولننا أن نتساءل عن أوضح مقياس للثقافة في العالم هل هو عن طريق الدراسة الدقيقة للفن والأدب والقانون في شعب من الشعوب؟ أو هل الثقافة تعتمد أولاً وبالذات على المستوى العام للتعليم في هذا الشعب؟ إنها في الحقيقة تستمد جذورها، وإلى حد كبير، من كل ما تقدم، ولكنها مع هذا تفكر بوضوح درجة التحرر وسعة الأفق والساحة بين الناس في حياتهم العامة، كما تعتبر مدى رغبتهم في السماح لغيرهم بحرية الرأي. فإذا نظرنا في بيئة من البيئات وشهدنا السماحة وسعة الأفق تسود بين الناس بيننا لبجلاء أن مستوى الثقافة في هذا المجتمع مستوى راق وعلة درجة سامية، وعلى العكس من ذلك إذا شهدنا أن هذه الصفات أخذت في الانخفاض والانتكاس فليس ببعضنا عن فقد الثقافة في هذا المجتمع أو بعبي عن ما قد نراه فيه من مظاهر براعة في الفن والعمرة الشامخة أو النظم المحكمة في التعليم والإدارة، ذلك لأن الشعارات الأصيلة للثقافة هما: السماحة والتحرر.

وحين تعني الثقافة الطريق الموروث للحياة في شعب من الشعوب، نرى الثقافة السريانية كان لها جانب مشع من حضارة الشرق، ومقياس ثابت لأبعاد الشبكات الفكرية لدى السريان، ومؤشر واضح لدور الأمة الأرامية السريانية في دفع عجلة الحضارة الإنسانية إلى الأمام، فقد اشتعل السريان في العلوم اللاهوتية والموسيقية والفلسفية والطبية واللغوية والتاريخية والفقهية، وأسسوا عدداً وافراً من معاهد العلم الشهيرة كان لها أثر بالغ في تاريخ ثقافة المنطقة.

لقد أنتجت هذه الكنيسة في مدارسها جيشاً عرماً من جهاذة العلماء، طبقة شرسة الخلاقين، حتى أخذ العرب الفاتحين كثيرين منهم أسانذة استعناوا بهم في نقل كثير من التأليف البيزنطي إلى العربية، وكانت في كل فن ومطلب، فضلاً عما كانوا قد وضيعوه هم بالسريانية مصنفات حسان، وأضحت ترجماتهم ومصنفاتهم منهاً عذبة لعلماء العرب وفلاسفتهم في الأجيال اللاحقة، و بواسطة هؤلاء للعالم العربي. فنظرة خاطفة إلى رسائل الكتني الفلسفية مثلًا تكفي لمعرفة ما اقتبسه أول فلاسفة العرب من هذه المصنفات، من نها مصطلحاته (إيس، ليس، هوه، قنية، وكتماة).

وتبنى العرب كذلك كثيراً من الألحان والبحور الشعرية السريانية، التي كان قد استنطبها خاصة بريدان الأرهاوي، ومار أفرام السرياني، ومار باليسي ومار يعقوب السروجي، وأنه لتجد عند نواب السريان بعض النظريات التي همل لها الغربيون حين قال بها علماؤهم، منها نظرية هردر (الإنسان عالم صغير)، فقد عالجها مار أحومد الجاثليق.
والشهيد السرائي الشهير في القرن السادس في كتابه (الإنسان عالم صغير)، ونظرية غسانيليو الفلكي، فقد عالجها الأسقف الروحاني السرائي في القرن العاشر، في كتابه (علة كل عالم).

ولا يفوتنا أن نذكر أشهر المدارس السرانية، مدرسة الرها، وكانت محجة طالب اللغة السرانية الفصحي، علم فيها مار أفرام، وعاشت 126 سنة، أغلقت أبوابها عام 849، ومدرسة نصيبين وعاشت أكثر من 250 سنة، ومدرسة قسنرين على شاطئ الفرات وعاشت نحوًا من 350 سنة، من 930 - 915. كما كان مشاهير علماء السراني من الأكليروس والعلماء الآخرين: بريديثان الرهاوي 247، إبراهيم 373، مارونا الميافريكي 471، رابولا الرهاوي 435، فيلكسيوس المنجي 573، مار أنطونيوس الأنطاكي 538، زكريا الفصيح، توما شربانيوس النطيري 1267، ساموستا أرمني 570، مار إنجيرون الحرمي 708، أنطون السلوكي 850، ديونيسوس التامريكي 845، إيوانيس الداري 850، مار موسى بن كيما 903، يعقوب ابن الصليبي 1171، يعقوب البابلي 1241، ميخائيل الكبير 1199، ابن العبدي 1286، وبنجامين الحندي 1454، أفرام الأول برصم الموصلي 1507.

إضافة إلى هؤلاء فقد خدم السراني فنون العلوم والمعارف البشرية، وقد بلغ عددهم الأربعمائة، ولم يوقف مساعيهم الثقافية الجميلة إلا الحروب والأحداث الكثيرة التي انتهت ببلادهم كما هو معلوم وذلك في العصور المتأخرة. على أنهم لم يعدوا رجالًا نسوا على منوال السلف الصالح وضربوا على قاليهم، أشهرهم البطريرك أسطيفان الدوهي الماروني 1704، والمؤرخ والكاتب العاملا المطران يوسف سمعان السمعاني، الرجل العظيم الذي نبغ وضارع علماء العصر الذهبي بعلمهم ومعارفه فخور الطائفة السرانية المارونية صاحب المصنفات الحسان، ولا سيما المكتبة الشرقية الضخمة التي اعترف العلماء المستشرقون والشريقيون من بحراها، والعلامة باطرس البستاني الماروني الأصل البروتستانتي المذهب أحد أركان النهضة العربية مؤلف محيط المحيط و دائرة المعارف المشهورة (1883) والمطران يوسف الدبس الماروني صاحب تاريخ سوريا (1907) والشيخ سعيد الشروتاني الماروني صاحب قاموس أقرب الموارد ويعقوب القطبلي الفنوي السراني مؤلف زهرة المعارف (1781) والمطران يوسف داود السرائي الكاثوليكي العالم الشهير الذي قضى على ناصية اللغة والأدب وترجم الكتاب المقدس (1890) والمطران توما ادو الكلداني الكاثوليكي صاحب قاموس الكبير (1918).
تلك ملامح عن الثقافة السرية ورجالها دون الدخول في التفاصيل التي استعرضناها من خلال فصول هذا الكتاب.

بعد الثقافة السرية

حتى نصل إلى إحياء الثقافة السرية بعد الضربات التي تالت عليها منذ ألف ومتنا من عام وإلى الآن، وعدم اهتمام أي جهة رسمية، لا بعثيثا بل ذكراها، سوى في العراق، حيث لها اعتبارها(1) أو في لبنان حيث ازداد في السنوات القليلة الماضية اهتمام الأفراد الذين ينتمون إلى الطوائف السرية الأصل، وهي ثلاث مجموعات: الكنيسة السرية الأورثوذكسية، الكنيسة السرية الكاثوليكية وتضم الموارنة والكلدان والسريان الكاثوليك، الكنيسة الأشورية الشرقية بالبحث عن ما يجمعهم من لغة وتاريخ مشترك(2)، مستبدين الخلافات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية واللاهوتية والحضارية وتدخل السياسة والسياسيين وآسوا عام 1994 (مركز الدراسات والأبحاث الوعي)، كما أن هناك في بيروت (الرابطة السرية).

ومن المؤسف أن يكون أبناء مله واحدة من يتتابعون الجذور السرية لهذه البلاد، مع أن الهوية الوطنية تتمتع لكل دون الوقوف على المذهب، فالدين الله والوطن للجميع.

إن إدراكنا الحسي للأشياء يشبه دائرة محددة الاستعمال، فنحن لا نستطيع أن نستوعب تشكيلة كبيرة من الإحساسات في الوقت الواحد، فالإدراك الحسي البشري يتفق، أكثر ما يتفق، مع التعديلات الباطنية في السلوك الربط، ولذلك كان على (الأفكار البناءة) أن تتفق دائماً عند بوابة الإدراك الحسي حيث يضيق الممر فلا يسمح بالعبور، إلا لعدد محدود من الأشياء يقل كثيراً عما تتطلبته أهمية الرسائل الوراثة أو حاجة المستقبليين لها.

وحتى نستطيع أن نزيد حركة المرور إلى داخل بوابة الثقافة السرية هناك بعض وجهات النظر نعرضها كما يلي:

نبرز الانقسامات والعودة إلى الأشكال الأولية التي نتخيلها عن المصادر والأشكال والأفكار في ثقافة هذه المنطقة.

---

(1) صحيفة الشرق الأوسط - لندن 20/10/1997 ص 20.
(2) صحيفة السفير - بيروت، نشر حداد 2/4/1997 ص 9.
توسيع وسائل الإدراك الحسي بصورة متكررة عن طريق المعارض والمحاضرات ومورات والكتب التي تخص هذه الثقافة.

فرض تعليم اللغة السريانية(1) على من يدرس في الجامعات اللغة العربية وتيسير ذلك على الآخرين.

ومن أمنا النظر في الثقافة السريانية بدلاً عن الشكل الذي كان عليه الماضي، يتبع لنا أن كل ما نكتشف عنها جدير بأن يستثير اهتماماً، وعلى الرغم من أن هذه النتيجة تتضح لنا بسهولة حالما ندرك أن الأشياء هي وحدها التي تمكنا من معرفة الماضي، إلا أنها في المعاي呀 تهمل بسبب انحراف الباحثين إلى الاهتمام بدراساتهم التخصصية، ولذا يجب أن ننصرف مهمة الجيل الحاضر إلى بناء تاريخ تلقاه حتى يستطيع أن يوفي كلاً من المعنى والوجود حقه، تاريخ يعني بكل من خطة الوجود وتمامه.

ونحن اليوم نعيد النظر في مسألة إحياء الثقافة السريانية، نكتشف تدريجياً يوماً بعد يوم أن ما يعنيه الشيء ليس أكثر أهمية من مايته، وأن التعبير والشكل ينطوي كل منهما على تحد م Âu بالشبة للمؤرخ، وأن أهمل أي من المعنى والماهية، أو الجوهر والوجود، من شأنه أن يشوه فهمنا لكليهما.

لقد درج العلماء، بما أوطنه من حذق وتعارف على تتبع مفاهيم الموضوع الإنساني خلال آلاف السنين، وقد برهروا الجميع باكتشافهم أن كل عهد يكسب الموضوع الذي هو قيد البحث ثرواته المميزة وما قد يطرأ فيه من تحول أو تغيير. وتتراكم هذه الدراسات حتى تشبه فصولاً من كتاب أسهم فيه مؤلفون كثيرون، تتناول كل منهم أحد عناصر التقاليد الإنسانية الموروثة وتناولوا جميعهم فكرة استمرار التراتب القديم، (فالاتصال وليس القطع، هو معيار القمية في نظر طلاب المعنى(2).)

ومثلما يفعل أي شخص عادي عندما يشتري ثوبًا جديداً ويخلع الثوب القديم ليحتفظ به في دولاب ثيابه، كذلك الثقافة كانت في كل دور من أدور حياتها تلبس ثوباً جديداً أو معنى

(1) نجد الرسول محمدً بحث عن تعلم السريانية حيث روى محمد بن عمر المدائني في كتابه (القلم والدواء) قول الرسول لزيد بن ثابت: (أحسن السريانية؟) قال: لا، قال: (تعلموا)، فتعلمها زيد في سبعة عشر يوماً.

(2) التلفشندي: صبح الأعشى المجلد الأول ص 15 بروت 1968.

جورج كيلر: ناشئة الفنون الإنسانية مرجع سابق ص 322.

108
[new paragraph]

جديداً وتخليع ثوبها القديم لتحتفظ به في دولاب التاريخ، ومتلما تحمل الأثى وتضع مولودها كذلك الثقافة كانت تلد أطفالاً صغاراً، فهم استمرار لبقاء النوع والجنس، ومتلما يكون أحدنا أسرة حين يتزوج وينجب أطفالاً، كذلك نجد في الثقافة السريانية في أية ثقافة غير سريانية، نجد اللغة أسرة وأقارب وقبيلة أو فصيلة نستطيع أن نصل إلى جمعها وإعادة لـم شملها لما بينها من صلة رحم لم تنقسم عراها رغم عاقب السنين عليها.

لقد غدا السريان أقلية ذات ارتباط قوي بالأرض، لا جدال فيه، وهو ارتباط جعل لـهم في التاريخ أدواراً تذكر في تأكيد انتماه هذه المنطقة إلى الحضارة الإنسانية.
المراجع

باللغة العربية


أسعد، جبران: الموسيقار السورية عبر التاريخ- حلب 1990 دون ذكر اسم الناشر.


البستاني، فؤاد أفرام: دائرة معارف البستاني- الجزء الرابع عشر- بيروت 1983.

البستاني، فؤاد أفرام: دائرة معارف البستاني- الجزء الثالث المجلد الأول- بيروت 1983.

الثالث، البطريرك أغناطيوس بعوجب: البراهيم الحسية على تقدير السريانية والعربية- مطبعة الكريم الحديثة- جونية 1969.


الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: كتاب الوزراء والكتاب مطبعة مصطفى الباحلي- القاهرة 1938.


الدبس، يوسف: تاريخ سوريا- الجزء الأول- المجلد الأول- بيروت 1893.

الزيات، أحمد حسن: الأدب العربي- القاهرة 1935.


الكلاسيكي، القسم يعقب: دليل الراغبين في لغة الآراميين مطبوعة دير الآباء الدومينيكيين - الموصل 1900.
المносوفي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب - المطبعة البهية المصرية 1346هـ.
المynosوفي، د. داود الجليلي: الآثار الآرامية في لغة الموصل العلامة - مطبعة النجم فلسطين - الموصل 1935.
النقد، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن الفهرست في أخبار العلماء المصنفون من القدماء والمحدثين
وأسماء كتبهم - مطبعة الإستقامة - القاهرة.
برصوص، البطريرك مار أغناطيوس افرام الأول: الألفاظ السريانية في المعالم العربية - نشر المجمع
العلمي العربي - دمشق 1951.
جبان، جبراء إبراهيم: السفينة رواية دار الآداب - بروتس الطبعة الثالثة 1983.
حتى، د. فيليب: تاريخ سورية وفلسطين - ترجمة د. جورج حداد ود. عبد الكريم راشق
دار الثقافة - بروتس 1958.
داود، المطران يوسف: النشأة المشهورة في نحو اللغة السريانية - جزءان طبع في دير الآباء
دوبانوي، المطران يوحنا: الشعر عند السرياني ترجمة عن السريانية الأب برصوص يوسف أيوب -
نشر وتوزيع مكتبة حياتي 1970.
زيدان، جرجي: تاريخ أدب اللغة العربية مطبعة الهلال - القاهرة 1911.
شملت، الفن جرجس: لغة حلب السريانية - المطبعة المارونية - حلب 1958 - الطبعة الثانية.
شير، أدي: تاريخ كلود وأثور - طبع في المطبعة الكاثوليكية للأباء البسعوديين - بروتس 1913.
صابر، محي الدين: انعكاس الحضاري وتسمية المجتمع - سرس الليابان مركز تنمية المجتمع في العالم
العربي 1972.
عطلة، جورج، بلاد الفلاح في العهد البيزنطي - بحث ألي في أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ


معروف، د. أحمد محمد: الحصيلة اللغوية – أهميتها، مصادرها، ووسائل تسميتها – سلسلة عالم
المعرفة الكويتية رقم 212.


مرمرجي الدومنتي، الأستاذ: معجمات عربية-سامية: مطبعة المرسلين اللبنانيين-جنيف-ليمان
نورو، أبوهود: أهمية اللغة السريانية وطنية وحضارية – محاشرة ألفت في مقر الرابطة السريانية


هافوري، المطران جورج هيب: السريان الآرمنيون من أمهم الغابر إلى يومهم الحاضر – مطبعة
ألف باء، دمشق 1999.

كتاب مترجمة للعربية

بروكلمان، كارل، الإمبراطورية الإسلامية وإحلالها – ترجمة نبيه أمين فارس ومنهر بعلبكى – دار
العلم للملايين – بيروت 1956.


ميور، رمزي: النتائج السياسية للحرب العظمى – ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة 1932.


صحفية السفير – بروت 1997/4/2
صحفية الشرق الأوسط – بروت 1997/10/16 العدد 7325.
صحفية الشرق الأوسط – بروت 1998/12/18 العدد 7380.
صحفية الشرق الأوسط – بروت 1997/10/20.
صحفية النهار العربي والدولي – بيروت 1998/11/2/1466
صحفية الأهالي – القاهرة 1989/3/27
صحفية الأهالي – القاهرة 1998/12/16 منى أبو سنة.
صحفية بيروت تايمز – لوس أنجلوس 1990 – 19
悰 1990 – تاريخ الكنيسة السريانية
الأثنا عشرية الأرثوذكسية.
فؤاد أفرام البستاني: الكنيدي والسريانية

مجلة المشرق: بروت 1903 الأب هنري لامانس اليسوعي.

مجلة المشرق: بروت السنة الثالثة والثلاثون 1943- الخوري إسحاق أرملة: القرى السريانية في مدن سورية.

مجلة المستقبل العربي: بروت 119/1 1989/1 عوني فرسخ: الأكليات في الوطن العربي:

ترامكات الماضي وتحديات الحاضر واحتمالات المستقبل.


مجلة المستقبل العربي: بروت 269 1989/3 عبد الله بلقز: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة.

مجلة المستقبل العربي: بروت 272 1989/7 عبد النبي أصطفى: عولمة دراسات المنطقة.


مجلة روز البيسوس القاهرة: 20/1/1976 ص 32.

مجلة نسان المشرق: بروت - العدد العاشر - السنة الأولى.

باللغة الإنكليزية

Branislow, Malinoweski: Dynamics of Culture Change, New York, Yale University 1954.


Naima Mustafa: Annals of the Turkish Empire from 1599 to 1659 of the Christian era, translated by Charles Faster, John Murray - London 1922


Stolman: Mental Maps - Resources for Teaching and Learning (Sheffield: Geographical Amociation 1980)


الفهرس

مقدمة .............................................................................................................. 5

تمهيد ............................................................................................................... 11

 سوريا التسمية والحدود ............................................................................. 17
 حدود سوريا .................................................................................................... 22

الهوية السورية ................................................................................................. 27

الحضارة والثقافة ........................................................................................... 29

 في مفهوم الهوية الثقافية ........................................................................ 31

 سيادة الهوية الثقافية ................................................................................ 34

 الشخصية والعقلية السورية ........................................................................... 36

اللغة السريانية السورية ................................................................................ 41

 اللغة والحضارة .............................................................................................. 43

 ساعية .. آرامية .. سريانية ....................................................................... 46

 تشبات الآرامية ............................................................................................... 48

 آثار اللغة السريانية .................................................................................... 54

 قوة اللغة السريانية ...................................................................................... 55

 سريان السريانية ............................................................................................ 57

 السريانية — العربية: الجذور والامتداد .................................................. 59

 الألفاظ تأخذ من بعضها ........................................................................... 62

 تأثر اللغة العربية باللغة العربية .......................................................... 65

 علاقة السريانية بالعربية ............................................................................. 68

 بين الحروف والكلمات السريانية — العربية ............................................. 70
بعض الكلمات السريانية المتناولة في حياتنا اليومية..............................................................................................................77
الأصول السريانية لأسماء بعض القرى السورية..........................................................................................................................80
أسماء بعض القرى السورية التي تبدأ بكلمة مهرة.........................................................................................................................82
أسماء بعض القرى السورية التي تبدأ بكلمة دير.........................................................................................................................83
أسماء بعض القرى السورية التي تبدأ بكلمة تل.........................................................................................................................83
بعض الكلمات السريانية العامية المتناولة في سورية الطبيعية........................................................................................................83
بعض الكلمات السريانية المتناولة ويجابها ظفرها باللاتينية........................................................................................................90
الألحان السريانية السورية.........................................................................................................................................................92
ماهية السلم الموسيقي السوري....................................................................................................................................................94
إحياء الثقافة السريانية............................................................................................................................................................101
إحياء مع التغير التاريخي..........................................................................................................................................................103
ماهية الثقافة السريانية..........................................................................................................................................................104
بعث الثقافة السريانية............................................................................................................................................................107
المراجع................................................................................................................................................................................................111
الفهرس................................................................................................................................................................................................117